



جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

الألفاظ السياسيّة في صبح الأعشى -دراسة دلالية-

إعداد

أحمد حمدان خطاب الصعوب

إشراف

الأستاذ الدكتور علي الهروط

رسالة مقدّمة إلى

كلية الآداب استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

مؤتة، ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة

اجازة رسالة جامعية

عمادة الدراسات العليا

تقرر اجازة الرسالة المقدمة من الطالب أحمد حمدان الصعوب والموسومة بـ (الالفاظ السياسية في صبح الاعشى - دراسة دلالية) استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية .

القسم : اللغة العربية .

الكلية : الآداب .

التاريخ

التوقيع

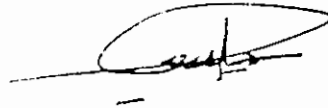
الأسم

٢٠٠٤/٩/٢



المشرف أ.د. علي الهروط

٢٠٠٤/٩/٣



عضو أ.د. سمير الدروبي

٢٠٠٤/٩/٦



عضو أ.د. عبدالفتاح الحموز

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البداينة

الشكر والثناء

بعد الشكر لله عزّ وجلّ أولاً، فإنّني أتقدّم بجزيل الشكر، وعظيم العرفان من الأستاذ الدكتور علي الهروط بقبوله الإشراف على رسالتي، فقد أولاني كل اهتمام ومتابعة، ولم يألُ جهداً في تقديم النصّح والإرشاد والتوجيه، فكان بحقّ نعمّ الموجّه الذي أفادني وأعانني بآرائه وملاحظاته القيّمة.

وأتوجّه بالشكر والتقدير من الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحموز، والأستاذ الدكتور سمير الدروبي لتفضّلهما بقبول مناقشة الرسالة، وتحملّهما عناء قراءة الرسالة، وإبداء التوجيهات والإرشادات الهادفة إلى رفع مستوى هذا العمل، فجزاهم الله خير الجزاء.

الإهداء

إلى الروح الطيبة الطاهرة في عليائها بإذنه تعالى

الأخ والخال الحبيب المرحوم محمد سليم الصعوب

(أبو طارق)

أسكنه الله فسيح جنانه،،،

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
- الشكر والتقدير	ب
- فهرس المحتويات	ج
- الملخص باللغة العربية	هـ
- الملخص باللغة الإنجليزية	و
- المقدمة	٥-١
- الفصل الأول: ألفاظ القيادة والحكم:	٦-٦٢
- الأمير	٧
- البريدي	١٤
- الخليفة	١٨
- الرئيس	٢٥
- السلطان	٣٠
- القنصل	٣٥
- الملك	٣٨
- النائب	٤٥
- الوزير	٤٩
- ولي العهد	٥٦
- الفصل الثاني: الألقاب التجبيلية:	٦٣-١٠٩
- الحضرة	٦٣
- خادم الحرمين الشريفين (خديم الحرمين الشريفين)	٦٩
- السامي	٧٥
- السيد	٨١
- الشريف	٨٨

الموضوع	رقم الصفحة
- الأفخم	٩٢
- المعظم	٩٦
- المقام	١٠١
- المقر	١٠٥
- الفصل الثالث: ألفاظ خاصة بالسلطنة:	١١٠-١٥١
- الحاجب	١١٠
- الخاصكية	١١٤
- الدستور	١١٨
- ديوان الإنشاء	١٢٢
- الطبلخانه	١٢٨
- الطغرى	١٣٢
- كاتب السر	١٣٧
- المرسوم	١٤٢
- المشير	١٤٦
- المهمندار	١٤٩
- الخاتمة	١٥٢
- جدول بالألفاظ الواردة في الدراسة	١٥٦
- المصادر والمراجع	١٥٧-١٦٧

الملخص باللغة العربية

هذه دراسة بعنوان "الألفاظ السياسية في صبح الأعشى - دراسة دلالية"، تُعالج مجموعة من الألفاظ التي تتعلّق بالمفاهيم السياسية التي يمكن من خلالها الكشف عن تصوّر حقيقي للغة ذلك العصر.

لقد تنوّعت هذه الألفاظ بين ألفاظ القيادة والحكم مثل: السلطان، الملك، الرئيس، والألفاظ التبجيلية التعظيمية مثل: المعظم، الأفخم، الشريف. والألفاظ الخاصة بالقصر من مثل: الديوان، الدستور، وألفاظ الحاشية والمقرّبين مثل: الحاجب، كاتب السر؛ إذ تمّت دراسة بعض الألفاظ والكشف عن التطوّر الدلالي الذي حدث لها في عصور مختلفة، وفي عصر المماليك على وجه الخصوص، ومن ثمّ الوقوف عند دلالتها في العصر الحالي، وخرجت الدراسة بمجموعة من النتائج من أهمها:

أظهرت الدراسة أنّ المجتمع في العصر المملوكي كان يتشكّل من العنصرين العربي والأعجمي، وبدا ذلك في عددٍ من الألفاظ المركّبة من الأعجمية والعربية. وبيّنت الدراسة أن تطوّرًا دلاليًا حدث لبعض الألفاظ تمثّل في الرقي الدلالي لبعضها من جانب، والانحطاط لألفاظ أخرى من جانب آخر، والتعميم الدلالي والتخصيص الدلالي لألفاظ أخرى، ويضاف إلى ذلك الانتقال الدلالي لبعض الألفاظ من حقل دلالي إلى آخر. كما تبين أن هناك تداخلًا دلاليًا لبعض الألفاظ تمثّل بالتداخل السياسي والعسكري والديني والإداري.

وبذا تقدّم الدراسة الدلالية فائدتين مهمّتين؛ الأولى في دراسة الألفاظ وتتبع تطوّر دلالتها وما يعكسه من حيوية اللغة وقدرتها على التعبير عن مجالات الحياة المختلفة، والثانية ما تقدّمه هذه الدراسة من تطوّر الحياة السياسية الذي اقتضى تغييراً في بعض دلالات الألفاظ شيوعاً وانحساراً، أو توسّعاً، وغير ذلك مما بيّنه البحث.

Abstract

Meaning of Political vocabularies in "Subhul A'ash"

-Terminological Study-

The research deals in some vocabularies related to political concepts, which were included in the book of "Subhul-A'asha". Such concepts may indicate the uses of language at the time of Mamlooks.

The said vocabularies included lists of leadership and authority vocabularies, such as Malik (King), Sultan and Ra'aeis (President); vocabularies of honorization such as Mo'atham (Majesty), Afkham (Magnificent) and Shareef (Sherif); vocabularies of palace affairs such as Diwan (Court) and Dostoor (Constitution); and vocabularies of elite such as Hajib (Prime Minister) and Katibusiar (Secretary).

The research revealed the development of vocabularies meanings during different political eras, especially the Mamlook era; besides it stressed their meaning in the present. The research concluded the following results:

- 1- Mamlooks society composed of both Arab and Mamlook races. Such difference influenced the mixed and complex vocabularies of both origins.
- 2- There was development of vocabulary meaning either in highness or decline of same vocabularies, generalization or specificity of the same vocabulary from one field the another.
- 3- There was an interference in vocabulary meaning as in the political, military, religious and administrative uses of vocabulary.

Such research has two important advantages. The first one reflects the vividity of Arabic language and its ability to represent the different aspects of life. The second one shows the development of political life, which required a change in some vocabulary meanings either positively or negatively.

مقدمة:

هذه دراسة لمجموعة من الألفاظ السياسية في كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي. إذ تعدّ السياسة من نظم الحياة التي تعمل على نمو الألفاظ اللغوية وتطورها، فتغيّر الحياة السياسية يترك أثراً واضحاً في اللغة، إذ تظهر ألفاظ جديدة، وتُهجّر ألفاظ أخرى، لم تعدّ الحاجة إلى استعمالها؛ لأنّ ثمة مفاهيم أخرى حلّت مكانها.

وقد أشار عليّ أستاذي الدكتور علي الهروط أن أدرس دلالة الألفاظ في كتاب "صبح الأعشى" لتحديد مادة الدراسة وعصرها؛ لأنّ كتاب "صبح الأعشى" من الكتب التراثية الغنيّة بالألفاظ، فهو موسوعة ضخمة يجمع بين الأدب والسياسة والتاريخ وغيرها من العلوم، ويؤرّخ لحقبة زمنية مهمّة في التاريخ العربي، نمت خلالها كثير من الألفاظ والمصطلحات اللغوية التي تتطور وتتشكّل مع مرور الزمن.

وصاحب كتاب (صبح الأعشى) هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الفزاري القلقشندي، نسبة إلى مدينة قلقشندة في مصر، ولد سنة ٧٥٦هـ، وتوفي سنة ٨٢١هـ، وهو أحد كبار أدباء العصر المملوكي^(١).

(١) من المصادر التي ترجمت لحياة القلقشندي:

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ج٢، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص٨.
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، نقي الدين أحمد بن علي المقرئ، ج٤، القسم الأول، تحقيق سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٧٣-٤٧٤.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي، ج٢، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ص١٣٢.
- وانظر دراسة تفصيلية عن القلقشندي وكتابه: أبو العباس القلقشندي أديباً، أحمد عبد الرحمن الذنيبات، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠١م، ص١ وما بعدها.

وتضمّن كتابه مقدّمة وعشر مقالات، تناولت مواضيع متعدّدة، وطبع في أربعة عشر مجلّداً.

ووقع الاختيار على مجموعة من الألفاظ التي تتعلّق بالمفاهيم السياسيّة، وهذا جانب مهم لأخذ تصوّر حقيقي للغة ذلك العصر، وهي دراسة ترتبط بعلم الدلالة. فقد اهتم الباحثون العرب بدلالة الألفاظ منذ نشوء الحركة العلميّة في القرن الثّاني الهجري، إذ يجمع الباحثون على أنّ البحث في دلالة الألفاظ نشأ منذ عصر التدوين، خدمة للقرآن الكريم، والحديث الشريف، ممّا أدّى إلى ظهور المعاجم.

فلقد تعدّدت المؤلفات العربيّة القديمة التي بحثت في مختلف القضايا الدلالية، من اشتراك، وأضداد، وترادف، وحقيقة، ومجاز، وما يتّصل بالمعرّب والدخيل، فمن هذه المؤلفات: الصّاحبي لابن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، والفروق اللغويّة لأبي هلال العسكري، (ت ٣٩٥هـ)، وفقه اللغة للشّعالبي، (ت ٤٢٩هـ)، والمعرّب للجواليقي، (ت ٥٤٠هـ)، والمزهر للسيوطي، (ت ٩١١هـ)، وغيرها.

واستمرّ الاهتمام بدراسة الألفاظ حتّى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من علم اللغة الحديث؛ لأنّ الدلالة المتعلّقة بالألفاظ محكومة بالمستجدات الحضاريّة والثقافيّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، فدلالة الألفاظ تتغيّر وتتطوّر باستمرار وفقاً لهذه المستجدات.

ومن المؤلفات الحديثة التي عيّنت بموضوع الدلالة: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، أحمد الكراعي، علم الدلالة النظرية والتطبيق: فايز الداية، والتطوّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: دراسة دلاليّة مقارنة، عودة أبو عودة، وغيرها.

ومن مؤلفات علماء الغرب في هذا المجال: علم الدلالة: بيير جيرو، علم الدلالة: بالمر،

وعلم الدلالة: كلود جرمان، وغيرها.

ووفقاً لهذا، يهدف البحث إلى تتبّع بعض الألفاظ السياسيّة، والوقوف عند المتغيّرات التي خضعت لها من حيث إحياء بعض الألفاظ، والرقى الدلالي لأخرى، وهجر بعضها الآخر، ودراستها دراسة علميّة تحليليّة اعتماداً على المصادر التاريخية والمصادر اللغويّة.

كما يهدف البحث إلى بيان دلالة بعض الألفاظ، وطريقة لفظها في لغات أخرى كالفارسيّة والعبريّة، وغيرها؛ لملاحظة إن كان ثمة فروق دلاليّة للألفاظ بين العربيّة واللغات المذكورة.

وبالنسبة للدراسات السابقة فإنني لم أعثّر على أيّة دراسة سابقة في التطور الدلالي للألفاظ في كتاب "صبح الأعشى"، في حدود العلم والاطلاع، وقد وردت معالجات جزئيّة لبعض الألفاظ في مراجع حديثة، أذكر منها:

- دراسة حلمي خليل في كتابه "المولد"، وقد عالج لفظتي (خليفة) و (أمير)، وبيّن المعاني المعجميّة والتطور الدلالي للفظتين.

- دراسة حسن الباشا بعنوان "الألقاب الإسلاميّة"، تناول مجموعة من الألفاظ الواردة في هذه الدراسة تناولاً تاريخيّاً، مثل: خليفة، وأمير، ورئيس، والسيد، وخادم الحرمين الشريفين، إذ لم يدرس هذه الألفاظ دراسة لغوية دلالية.

- دراسة البدرأوي زهران في كتابه "علم اللغة التاريخي"، عالج بعض الألفاظ مثل: الخاصكيّة، المهمندار، عالجها معالجة صرفيّة، وخلص إلى أنّ الواقع اللغوي في ذلك العصر فرض الاستعمال اللغوي لتلك الألفاظ، لكنه لم يتتبّع التطور الدلالي لمثل هذه الألفاظ، وهو ما بيّنته الدراسة.

- وتناول إبراهيم أنيس في كتابه "دلالة الألفاظ" بعض الألفاظ مثل: سلطان، ملك، وزير، تناولاً دلاليّاً من حيث رقى الألفاظ وانحطاطها دلاليّاً، دون الإشارة إلى اشتقاقاتها

- هناك بعض الموسوعات التي وردت فيها معالجات لبعض الألفاظ، وقد أثبتتها في موضعها من مثل: دائرة المعارف الإسلامية، وموسوعة السياسة، وموسوعة الحضارة العربية والإسلامية، ومعجم العالم الإسلامي، ومعجم المصطلحات السياسية، حيث تناولت هذه الموسوعات مجموعة من الألفاظ تتاولاً تاريخياً، مثل: الأمير، والخليفة، والسلطان، والقنصل، والملك، والوزير.

وقد تمّ الاعتماد أيضاً على معاجم حديثة، ومن أهمها: معجم دوزي، حيث تمّ إضافة بعض المعاني التي لم ترد في المعاجم العربية، لبعض الألفاظ، مثل: الحضرة، والخادم، والشريف، والمقام، والمقرّ.

وقد اقتضت هذه الدراسة المنهجين التاريخي والوصفي؛ لأنّ المنهج التاريخي يكشف التطور الدلالي للألفاظ واستعمالها في أقدم النصوص على مرّ العصور، وتقيد الدراسة من المنهج الوصفي في وصف استعمال هذه الألفاظ، ودلالاتها في عصر القلقشندي. كما تستعين الدراسة بالمنهج المقارن الذي يعنى بدراسة الألفاظ في اللغات الأخرى، ومقارنتها من حيث الاستعمال والدلالة واللفظ مع اللغة العربية.

وبنيت الدراسة على ثلاثة فصول وخاتمة.

خصّص الفصل الأول للحديث عن ألفاظ القيادة والحكم التي سادت في عصور وأزمنة مختلفة منذ العصر الجاهلي حتّى العصر الحالي، منها ألفاظ عرفت قديماً كلفظ الملك والوزير، وأخرى استحدثت في الدولة الإسلامية الأولى كلفظ الخليفة، وبعضها عرفت في العصر العباسي كلفظ النائب، وبعضها اختصّ بزعماء أهل الكفر كما يسمّيها القلقشندي: مثل القنصل والرئيس، وتمّ في هذا الفصل تتبّع الاشتقاق اللغوي لهذه الألفاظ، وبيان التطور الدلالي الذي حدث لها في عصور مختلفة، وفي عصر القلقشندي على وجه الخصوص، ومن ثمّ الوقوف عند دلالاتها في العصر الحالي، وبيان مدى التطور الدلالي الذي طرأ عليها.

وتناول الفصل الثاني بعض ألفاظ التبجيل والتعظيم التي سادت في عصر المماليك، ولكنها تعود في أصلها إلى عصور سابقة مثل المعظم، الأفخم، الحضرة، خادم الحرمين الشريفين: حيث عرض الفصل لدلالة هذه الألفاظ في عصر المماليك والعصور التي سبقتها، وبيان التطور الدلالي الذي حصل لها بمقارنتها في العصر الحالي.

وبحث الفصل الثالث في الألفاظ الخاصة بالسلطنة، من مثل: ديوان الإنشاء، الذي يستقبل المراسلات السلطانية ويصدرها، وفيه أسرار وخفايا السلطنة، وكذلك الحديث عن ألقاب الحاشية والمقربين مثل: الحاجب، وكاتب السر، والمهمندار. والحديث عن المراسيم والعلامة السلطانية والدستور، ومن ثم بيان التطور الدلالي الذي حصل لمثل هذه الألفاظ في العصر الحالي. ثم الخاتمة، وقد أجملت فيها أهم نتائج البحث.

أما مصادر الدراسة ومراجعتها، فقد تمّ الاعتماد على مصادر ومراجع كثيرة تتّصل بموضوعات الدراسة، مثل الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، ودواوين الشعر الجاهلي، والمعاجم اللغوية، وكتب التاريخ، والمعاجم السياسية، والمراجع اللغوية والتاريخية الحديثة. ونظراً لكثرة الألفاظ الواردة في (صبح الأعشى) التي يمكن تناولها في معالجة الألفاظ السياسية، فقد اقتصرنا في هذا البحث على عينة من الألفاظ المستخرجة من صبح الأعشى، مقسّمة إلى ثلاثة أنواع كما هو مبين في خطة البحث.

وقد وردت آراء للقلقشندي في تاصيل بعض الألفاظ، فاجتهدت بأن أجعل جذور الكلمة عربية - ما أمكن - على أن لا يكون في هذا التاصيل تكلف، أو مشقة، وهو نهج سبق إليه الطبري وذكره في مقدّمة تفسيره^(١).

وأخيراً، فإنّ هذا العمل اجتهد، لا يخلو من الخطأ، أو النقصان، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فأسأله وحده المغفرة.

(١) تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)،

(د.ط)، ج ١، ص ٣٣-٣٤.

الفصل الأول

ألفاظ القيادة والحكم

تُعَدُّ السياسة نظاماً من أنظمة الحياة التي تعمل على تطوّر اللغة ونموّها،
فالتحول من نظام سياسي إلى نظام آخر يترك أثره في اللغة، فتظهر ألفاظ جديدة،
وتتدنر أخرى، كما يبدو ذلك في بعض ألفاظ القيادة والحكم. فألفاظ القيادة التي يتم
تناولها في هذا الفصل هي من الألفاظ التي سادت في عصور وأزمنة مختلفة، منذ
العصر الجاهلي حتى العصر الحالي، فمنها ألفاظ عرفت قديماً؛ كلفظ الملك، والوزير،
وأخرى استحدثت في عهد الدولة الإسلامية الأولى: كلفظ الخليفة، وأخرى فسي عهد
الأمويين؛ كولي العهد، وبعضها عرف منذ العصر العباسي؛ كلفظ "النائب". وبعض
الألفاظ التي اختصّت بزعماء أهل الكفر كما يسمّيها القلقشندي، مثل "الرئيس"، و"
القنصل".

وقد فسّر القلقشندي معاني بعض هذه الألفاظ، وذكر الاشتقاق اللغوي لها.
ويتناول هذا الفصل هذه الألفاظ من حيث المعنى والاشتقاقات اللغوية لها، وبيان التطوّر
الدلالي الذي حدث لها في عصور مختلفة، وفي عصر القلقشندي على وجه الخصوص،
ومن ثمّ الوقوف عند دلالاتها في العصر الحالي؛ ليتسنى للدارس بيان مدى التطوّر
الدلالي لمثل هذه الألفاظ.

- الأَمِيرُ:

يُعدُّ هذا اللقب وظيفة قديمة، أوردها القلقشندي في الألقاب المتداولة في الحكم إلى زمانه، وقد وضعها تحت ألقاب أرباب السيوف^(١). والأَمِير في اللغة صفة مشبهة على زنة (فعليل) مشتق من مادة (أَمَر) فهو أَمِير، والجمع أمراء^(٢).

ورد لفظ الأَمِير في شعر عروة بن الورد بمعنى المُسْتَشَار، في قوله:

أَلَا يَا لَيْتَنِي عَاصَيْتُ طَلْقاً وَجَبَّاراً وَمَنْ لِي مِنْ أَمِيرٍ^(٣)

وورد في شعر الأعشى بمعنى قائد الأعمى:

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دِ صَدْرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَ^(٤)

وورد اللفظ صريحاً في الحديث الشريف بمعنى الناصح والمستشار، قال صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صَدَقٍ إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ"^(٥). وقال عليه السلام: "أَمِيرِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ جِبْرِيل"^(٦).

ولفظ أمير: من أَمَر، "الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأَمْرُ من الأُمُور، الأَمْرُ ضدَّ النهي، والأَمْرُ بفتح الميم النَّماء والبركة، والمَعْلَم، والعَجَب"^(٧)، وقيل: إنه

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٩.

(٢) اللسان، مادة (أمر).

(٣) ديوان الصعاليك، شرح يوسف فرحات، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ص ٧٨.

(٤) ديوان الأعشى الكبير "ميمون بن قيس"، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز، ص ٩٥.

(٥) صحيح ابن حبان، الإحسان في تقريب ابن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، ج ١٠، ص ٣٤٥.

(٦) النهاية، ٦٦/١.

(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط ١، دار إحياء الكتب، ١٣٦٦هـ، مادة (أمر).

لأُمُور بالمعروف، نَهْيٌ عن المنكر من قوم أُمُر"، ومن هذا الباب اشتقت الإمارة والأُمارة، وصاحبها أمير، ومؤمَّر^(١).

والأمير: "المَلِكُ لِنفاذ أمره، بيّن الإمارة والأُمارة، والجمع أمراء. وأُمِرَ الرجلُ يأمر إمارة إذا صار عليهم أميراً، وأُمِرَ فلان، إذا صيّر أميراً"^(٢).

والأمير: "زعيم الجيش أو الناحية، ونحو ذلك ممّا يوليه الإمام وهو فاعل بمعنى فاعل، فيكون هو أميراً بمعنى آمر، سُمّي بذلك لامتنال قومه أمره"^(٣). فالأمير يطلق على المُستشار، والمَلِكُ، والزَّعيمُ، وقائد الأعمى.

وفي دائرة المعارف الإسلامية أن لفظة أمير دخلت إلى العربية من اليونانية، وهي تعني باللاتينية (Amirtus-Amiralus)، واشتقّ منها "Admiral"، وينطق بها في الفارسية "مير"^(٤).

ويعدها الثعالبي من الألفاظ الفارسية، إذ إنه أوردها مع غيرها من الألفاظ في كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية) تحت عنوان "في سياقة أسماء فارسيّتها منسية وعربيّتها محكية مستعملة"^(٥).

وهذا شأن الكلمة في رحلتها التاريخية داخل اللغة الواحدة وخارجها، فإنّها قد تنتقل من لغة إلى أخرى ثم تعود إلى لغتها الأصلية فلا تعرف لدى أهلها؛ لأنّ الرحلة طويلة زمنياً قد تستغرق آلاف السنين، ولهذا صدق تعبير الثعالبي في بعض عناوينه

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (أمر).

(٢) اللسان، مادة (أمر).

(٣) صبح الأعشى، مصدر سابق، ج ٥، ص ٤٤٩.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أمير).

(٥) فقه اللغة وسرّ العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق فائز محمد، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت،

١٩٨٦، ص ٢٧٢.

عندما قال "فارسيته منسية"^(١). فكأنما يريد أن يقول: إن هناك كلمات عربية منسية أيضاً.

ويرى إبراهيم أنيس أن نصف ألفاظ اللغة الفارسية الحديثة مستعارة من اللغة العربية، وأن معظم الكلمات في اللغة التركية مستعارة من العربية^(٢)، ويقول: "ولعل بعض الكلمات السامية قد استعارتها الفارسية في عصور متوغل في القدم، ثم عادت إلى العربية على أنها فارسية"^(٣).

ويرى حلمي خليل أنه احتمال بعيد أن تكون أمير لفظة فارسية، وذلك لأصالة مادة "أمر" في العربية واللغات السامية^(٤). فجاء في اللغة الأثيوبية "أمّر" ammra > بالتشديد، بمعنى (عرف)، أو أخبر، أو أرى، وفي العربية الجنوبية mr > "أمر" بمعنى علم أو أشار، وفي العبرية amar > أمر بمعنى قال، وفي الآرامية amar > ، وفي السريانية amar >^(٥). فهي تفيد معنى القول؛ لأن أقوى ما في الأمير قوله الذي ينفذ.

ويُزاد على ذلك وجود مشتقات كثيرة لمادة "أمير" في اللغة العربية^(٦)، إذ يرجح حلمي خليل أن لفظة "أمير" أصلها في العربية ثم انتقلت إلى اللغات الأوروبية، والدليل

(١) فقه اللغة وسرّ العربية، ص ٢٧٢.

(٢) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط ٧، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص ١٥١.

(٣) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥، ص ١٢٩.

(٤) المولد في العربية، حلمي خليل، ط ٢، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٨٥، ص ٤١٤، نقلاً عن Gesenius

55.

(٥) دراسات في فقه اللغة والفتولوجيا العربية، يحيى عابنة، ط ١، دار الشروق، ٢٠٠٠، ص ٢٥٢.

(٦) المولد، ص ٤١٤.

على ذلك كلمة "أدميرال" والتي يقال: إنها مشتقة من لفظة "Amiratus" اليونانية الأصل، هي كلمة عربية الأصل، وتعني أمير البحر^(١).

ويبدو أن كلمة "أمير" عربية الأصل، لهزها، وبنائها، ودورانها في اللسان العربي مركبة ومفردة. وربما تكون لفظة "مير" الفارسية هي لفظة عربية، ثم أدخلت إلى اللغة الفارسية كغيرها من الألفاظ، وجرى التغيير عليها بحذف الهمزة.

لقد عُرف مصطلح الأمير الدال على القيادة والحكم في بدايات الدولة الإسلامية، إذ كان يطلق على قادة الجيش في المعارك، فأطلق علي قادة مؤتة "وودع الناس أمراء الرسول صلى الله عليه وسلم"^(٢).

وقد ميّز بين نوعين من الإمارة: إمارة الاستكفاء، والتي تعقد عن اختيار، وإمارة الاستيلاء وتعقد عن اضطرار^(٣).

ولم يقتصر استعمال لقب "الأمير" وظيفة، فقد استخدم لقباً فخرياً في العصر الأموي، إذ كان يطلق على (ولاة العهد)، ثم استعمل بمعنى (الوالي) في الدولة الفاطمية، وورد اللقب في عصر السلاجقة، وأطلق على أفراد من الأسرة الأيوبية^(٤). وانتشر اللقب في المغرب العربي، في عهد (الأغالبة)، وبني زيري، وبني حماد. ومن

(١) المولد، ص ٤١٤-٤١٥.

(٢) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مجلد ٢، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، ١٤٩.

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، دار الحرية، بغداد، ٩٨٩، ص ٥١-٥٧.

(٤) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، دار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٨١-١٨٤.

مميّرات الحكم عند بني زيري الذين حكموا تونس (٣٦٢-٥٥٥هـ)، أنّ للأُميرات دوراً كبيراً في القيادة، وكنّ يتمتّعن بمكانة خاصة وتأثير في البلاد^(١).

وقد استعمل اللفظ مُضافاً إلى ألفاظٍ أخرى، من أهمّها "أمير المؤمنين"، وهو لقب عام للخلفاء، أول من لُقّب به سيدنا عمر رضي الله، وقيل إنّ علي بن أبي طالب أول من لُقّب به بذلك، وقيل عمرو بن العاص^(٢).

ويعود السبب في استخدام هذا اللقب: "لما لهذا المصطلح من صلات وثيقة بوظيفة صاحب السلطة والحكم، فالقرآن الكريم يسمي السّياسة وشؤون الحكم "الأمر"^(٣): قال تعالى: «وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»^(٤). وأيضاً رغبة سيدنا عمر - رضي الله عنه - في لقب لا شُبْهة فيه، فهذا اللقب تنفّي عنه شُبْهة الوراثة لسلطان النبي الديني، وطابعه السياسي ينفي عنه شُبْهة الاستبداد الملكي التي كانت سائدة في ذلك العصر^(٥).

ويُزاد إلى ذلك استتقال عمر أن يكون لقبه خليفة خليفة رسول الله^(٦). وقد سار على نهجه الخلفاء الأمويون، والعباسيون، والعلويون^(٧). وفي عصر المماليك، كان الأمراء يتدرّجون في ترتيب معيّن من أمير خمسة إلى أمير عشرة إلى أمير أربعين إلى

(١) مفهوم الملك في المغرب، محمد ولد دادة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٩٩٧، ص٤٥، ٨٤، ٨٨، ٩٢.

(٢) صناعة الكتاب، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق بدر أحمد ضيف، ط١، دار العلوم العربية، بيروت، ٩٩٠، ص٩٦؛ وتاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط.)، (د.ت.)، ص١٣٨.

(٣) موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٣٤.

(٤) الشورى، آية ٣٨.

(٥) موسوعة السياسة، ص٣٣٤.

(٦) موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، حسن حنفي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٩٩.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (أمير).

أمير مئين^(١)، ويقصد بالخمسة والعشرة وغيرها عدد ما تحت إمرة كل واحد منهم من الفرسان.

ومن مركبات هذه الكلمة في العصر المملوكي:

- أمير مَجْلِس: "وهو لقب من يتولّى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره، والأحسن فيه أن يقال: "أمير المجلس" بتعريف المضاف إليه، وتكون الألف واللام فيه للعهد الذهني، إمّا مجلس السلطان وإمّا غيره"^(٢).

ويلاحظ بأنّ القلقشندي يعيد صياغة التركيب الدخيل ليتفق مع نظام الصرف العربي^(٣). وأمير مجلس يمثل رئيس ديوان التشريعات^(٤). ويقابل مصطلح الحاجب في العصور التي سبقت القلقشندي.

- أمير سلاح: يطلق على صاحب منصب من أهم المناصب في دولة المماليك في مصر، وكان أمير السلاح يشرف على دار السلاح الملكية والجيش، ومقامه الثاني بين كبار الأمراء^(٥).

- أمير آخُور: "ينطق به في الفارسية "ميزر آخور"، أي القائم على الإسطبل، وهي وظيفة يشرف متوليها على اسطبل السلطان أو الأمير، ويتولّى أمر ما فيه من الخيل، والإبل، وهو مركّب من لفظين: أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو "آخور" ومعناه

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤، ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٥٥.

(٣) في علم اللغة التاريخي، البدر اوي زهران، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٠١.

(٤) دائرة المعارف، مادة (أمير).

(٥) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٦.

"المعلف"^(١)، وفي المعجم الفارسي آخر وأخور، ومعناها "اصطبل"^(٢)، فيكون أمير أخور "أمير المَعْلَف"؛ لأنه المتولّي لأمر الدواب^(٣).

- أمير جَانْدَار "وجَنْدَار": لقب لمن يأذن بالدخول على الأمراء وغيرهم في المواكب وعند الجلوس في دار العدل، وهو مركّب من ثلاثة ألفاظ: أحدها عربي، وهو "أمير"، والثاني "جان"، ومعناه الرُّوح بالفارسية والتركية، والثالث "دار" ومعناه مُمَسِّك، فيكون المعنى "الأمير الممسك للروح، ومعناه الحافظ لدم السلطان، فلا يأذن عليه إلا لمن يأمنه"^(٤)، ومعناه عند (شير) حارس ذات المَلِك^(٥). ويُفهم من المعنى أن أمير جَانْدَار لا يأذن في الدخول على المَلِك إلا لمن يأمنه.

وبعد استعراض بعض هذه الألفاظ المركّبة نلاحظ مدى تأثرها باللغة الفارسية؛ فاللغة العربية من اللغات الإنسانية تتبادل التأثير والتأثر، وهي تقرض غيرها وتقترض منها، متى تجاورت واتصلت بها، والتأثر بالفارسية كان منذ القدم^(٦).

وأصبح لقب أمير عند الأتراك مرادفاً "لبك"^(٧)، أمّا في العصر الحديث، فتعدّ "الإمارة" شكلاً من أشكال النظم السياسية التي نجد لها تطبيقاً في البلاد العربية، وتعدّ من تطبيقات النظام الملكي، ومن نماذجه دولة الإمارات العربية^(٨).

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦١.

(٢) المعجم الفارسي الكبير، إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤٠.

(٣) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٦١.

(٥) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيد آدي شير، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ص ٤٦.

(٦) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٧) معجم العالم الإسلامي، كلوس كريزر وآخرون، ترجمة كتّورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٩٢.

(٨) معجم المصطلحات السياسية، علي هلال وآخرون، ط ١، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٨٠.

- البريدي:

جاء في صبح الأعشى "من الأمور التي يتصرف فيها صاحب الديوان، نظره في أمر البريد ومتعلقاته، وهو من أعظم مهمات السلطان، وأكد روابط الملك"^(١).

والبريد "bariyd" من بَرَدَ "barada" مصدر على زنة (فعل)، والنسبة إليها (بريدي)، والجمع بُرْدٌ^(٢). والبريد أصله في اللغة، المسافة، وهي فرسخان، والبريد: الرُّسل والرسائل التي معهم^(٣)، وتدلّ البريد في اللغة على المرتب، والرُّسُول، والفُرانق، وابن آوى، والمسافة بين السكّتين^(٤)، ثم انتقلت دلالتها لتدل على الرسائل المكتوبة التي تنقل من مكان إلى آخر.

ورد اللفظ "البريد" بمعنى بغال البريد في قول امرئ القيس:

على كل مقصوص الذنابي معاود
بريد السرى بالليل من خيل بربر^(٥)

وجاء اللفظ في الحديث الشريف بمعنى "الرسول والسفير"، قال صلى الله عليه وسلم: "لا أخيس العهد، ولا أحبس البرد"^(٦)؛ أي: لا أحبس الرسل الواردين علي^(٧)، والبرد مخففة من البرد كرسل ورسل ليزاوج العهد بسكون الهاء^(٨). وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أبردتكم إليّ بريداً فأبعثوه حسن الوجه"^(٩)، فالبريد مصدر من (برد)،

(١) صبح الأعشى، ج ١، ص ١١٤.

(٢) اللسان: مادة (برد).

(٣) اللسان: مادة (برد).

(٤) اللسان: مادة (برد)؛ وتاج العروس: مادة (برد).

(٥) ديوان امرئ القيس، تحقيق أنور أبو سويلم، علي الهروط، ط ١، دار عمّار، عمان، ١٩٩١، ص ١٤٨.

(٦) سنن أبي داود: أبو داود سليمان الأشعث السجستاني، مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٣، كتاب الجهاد، دار الفكر (٢٧٥٨).

(٧) اللسان: مادة (برد).

(٨) اللسان: مادة (برد).

وسلم: "إذا أبردتكم إليّ بريداً فأبعثوه حسن الوجه"^(١)، فالبريد مصدرٌ من (بَرَدَ)، وقال بعض العرب "الحُمَى بريد الموت أي رسول الموت تنذر به"^(٢).

قيل إنَّ البريد لفظة فارسية الأصل، تعني "البَرْد"، وأصلها "برده دم"؛ أي محذوف الذنب؛ لأنَّ بغال البريد كانت محذوفة الأذنان علامة لها، فعربّت وخففت، وسمي الرسول الذي يحملها بريداً. والمسافة بين السكتين بريداً^(٣).

وقيل أصله فارسي من (بَرْدَن)، أي نقل حمل، وقيل أصله رومي "veredus"، وهو دابة البريد، بمعنى مفعول، ويفضل شير"، الأصل الرومي على الفارسي^(٤).

وقيل إنَّ "بريد" العربية استعيرت من الكلمة اللاتينية "veredus"، ومعناها "دابة البريد، أو حصان البريد"، ثم ناقل البريد^(٥).

وذهب (الخليل) إلى أنه عربي مشتق من بَرَدْتُ الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه، وقيل من أَبَرَدْتُهُ، إذا أرسلته، وقيل من (بَرَدَ) إذا ثبت؛ لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار^(٦)، ولو أخذنا بقول الخليل لكانت (بريد) من (بَرَدَ) على زنة (فَعِيل) بمعنى مفعول، أو من (أَبَرَدَ) واسم المفعول (مُبَرَدَ). ويعرض القلقشندي المعنى اللغوي

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الحافظ السيوطي، مجلد ١، ط ١، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦٩، ص ٢٥٧.

(٢) اللسان، مادة (برد).

(٣) المصدر نفسه، مادة (برد).

(٤) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٨، ١٩.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بريد).

(٦) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، ج ٨، مؤسسة دار الهجرة الثانية، إيران، ١٤٠٩ هـ، مادة (برد)، ص ٢٩.

والاصطلاحي للبريدي دون أن يبدي رأيه، حول أصالة هذا اللفظ، إذ اكتفى بعرض المعنيين؛ اللغوي والاصطلاحي^(١).

ويبدو أن هذه اللفظة عربية، لسببين أولاً: ورودها في الحديث النبوي الشريف، والشعر العربي، والمعاجم اللغوية، وكثرة الاشتقاقات منها، وثانيهما، أن هناك من يشكك في أصلاتها الفارسية وينسبها إلى الرومية كما ذكر ذلك آدي شير.

ويذكر إبراهيم أنيس أن الدلالة تبدأ أحياناً بالمحسوسات، ثم تتطور إلى الدلالات المجردة بتطور العقل الإنساني ورقته، فكلما ارتقى التفكير العقلي، عمد إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها، والاعتماد عليها في الاستعمال^(٢).

لقد وثقت اللغة أصل كلمة البريد، وهو الدلالة على أذنان الدواب التي تحمل البريد، أو المسافة التي هي فرسخان، أو البرد نحو بردت الحديد، وانتقالها إلى دلالة متمثلة بوظيفة يقوم بها الشخص المكلف بالرسائل أو الرسائل نفسها، ويرتقي الرسول أو ينخفض بارتقاء الطرفين، المرسل والمرسل إليه، أو أحدهما. فالكلمات في عمرها المعجمي قد تموت أو تنتحي جانباً، أو يجري لها انتقال من الحقيقة إلى المجاز، وهذا ما حصل مع كلمة (بريد). فالعربية توسعت في الدلالات المجازية لكي تنمو وتلبي حاجات الحياة، فنقلت بعض الألفاظ من الأصل الحسي لها إلى الاستعمال المجرد^(٣).

وقد ارتقت اللفظة في العصور الإسلامية الأولى إلى معنى "السفير" لتدل على حامل الرسائل، وتأتي أهميته من الرسائل التي يحملها. ثم أخذت دلالة الكلمة في التخصص لتدل على المادة المرسلة في العصرين الأموي والعباسي، إذ أصبحت وسيلة

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) دلالة الألفاظ، ص ١٦١.

(٣) المولد، ص ٢١٢.

مهمة في إدارة شؤون الدولة^(١)، واستمر استعماله في عهد الأيوبيين، ثم في دولة المماليك، والدولة العثمانية^(٢). ومن المهام التي أنيطت بالبريدي وكلف القيام بها: نقل الرسائل والمراسيم والأخبار من مركز الدولة إلى عمّالها ورجالها في الأقاليم، والقيام بالرقابة المالية والإدارية والقضائية على عمّال الدولة، ورفع أخبار ذلك للحاكم، وحفظ الطرق من اللصوص والقطاع والجواسيس، ونقل الجند والإمدادات العسكرية عند الحاجة، ونقل السلطان وكبار رجال الدولة والسفراء الواردين على الدولة^(٣).

ويصف القلقشندي البريديّ وما يجب أن يتحلّى به من الصفات "أن يكون قديراً على تنميق الكلام وتحسين العبارة، مؤدياً للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقاً، بريئاً من الطمع، وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه إلى مقاصده"^(٤). وهذه الصفات الشخصية التي يُعرف بها السفراء في وقتنا الحاضر، إذ لا يُختار لهذه المهمة إلا من اتّصف بهذه الصفات، وتُجرى لهم مسابقات لاختيار المناسبين منهم.

وكانت للبريدي ألواح من فضة تحفظ في ديوان الإنشاء، إذ يوضع اللوح في عنقه ليميّزه عن باقي موظفي الدولة، إذا كان مسافراً في مهمة ما^(٥).

ومن الألقاب التي أطلقت على البريدي لقب "السفير"، وهو الرسول والمصلح بين القوم يتولّى مهمة السفارة عن الملوك والدول، وهو من الألقاب الخاصة بالدوادر^(٦).

(١) صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بريد).

(٣) رسالة رصف الفريد في وصف البريد، أحمد بن أبي الفتح الشيباني، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، دار البشير، مؤسسة الرسالة، عمان، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٣٦، ٣٧.

(٤) صبح الأعشى، ج ١، ص ١١٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٥، ٥٣.

ويلاحظ ممّا سبق، الرقيّ الدلالي لهذه اللفظة في عصر المماليك، إذ كان منصب "البريدي" على درجة من الأهمية، ويمثّل منصب السفير في الوقت الحاضر. إلّا أنّ اللفظة في العصر الحاضر، قد خصّصت دلالتها وأصبحت تطلق على الموظفين الذين ينقلون الرسائل، وهم ينتسبون لمؤسسة تُدعى "البريد"، تعنى بشؤون توزيع الرسائل الخاصة بالمواطنين ومؤسسات الدولة.

- خَلِيفَة:

جاء في صبح الأعشى "الخليفة؛ لقب الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة، وهو من الألقاب القديمة المتداولة في الحكم إلى زمن القلقشندي، وهو من ألقاب أرباب السيوف^(١).

ورد اللفظ في الشعر الجاهلي صريحاً بمعنى الخلف الذي يخلف غيره، قال لبّيد^(٢):

وَأَنْتَ فَقِيرٌ لَمْ تَبْدَلْ خَلِيفَةً سِوَايَ، وَلَمْ يَلْحَقْ بَنُوكَ الْأَصَاغِرُ

وقال أوس بن حجر^(٣):

إِنَّ مِنَ الْحَيِّ مَوْجُوداً خَلِيفَتَهُ وَمَا خَلِيفُ أَبِي وَهَبٍ بِمَوْجُودٍ

والخلف يجوز بالإسكان والفتح، وهو مصدر خلف، وجمعه خلفاء وخلائف، والخلف للأشعار خاصة، وبالتحريك ضده، وقال ابن بري: "والصحيح في هذا وهو

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٤.

(٢) شرح ديوان لبّيد ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، ص ٢١٩.

(٣) ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٥.

المختار أن الخلف بالتحريك خَلَفَ الإنسان الذي يخلفه من بعده، وبمعنى البذل، وقيل إن الخلف التابع لما مضى، أو أنه المتخلفون عن الأولين^(١).

وورد اللفظ في القرآن الكريم، قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^(٢)، وقال تعالى: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ»^(٣)، وورد اللفظ بصيغة الجمع «واذكروا إذ جعلكم خلفاء»^(٤)، وقال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ»^(٥)، فالمعنى في الآيات السابقة واحد، بمعنى يخلف بعضهم بعضاً.

والخليفة: الذي يُستخلف ممّن قبله، والجمع خلائف، جاءوا به على الأصل، مثل كريمة وكرائم، وهو الخليف والجمع خلفاء^(٦). وقيل فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء، وأما خلائف فعلى لفظ خليفة، ولم يعرف خليف. ويبدو أن اللغة خصّصت في الجمع زنة (فعائل) بغير العقلاء، نحو سفينة سفائن، وخصّصت زنة (فعلاء) بالعقلاء، نحو خليفة خلفاء.

وخليف على وزن (فعيل)، وهو بمعنى مفعول؛ كجريح بمعنى مجروح؛ لأنّ الله تعالى جعله خليفة، أو لأنّه جاء به بعد غيره، وعليه حمّل قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^(٧). وقيل فعيل بمعنى (فاعل) كعليم بمعنى عالم؛ لأنّه خلف من قبله، وعليه حمل معنى الآية السابقة؛ أي أنّه كان قبل آدم في الأرض الجن أو الملائكة وأنّه

(١) تاج العروس: مادة (خلف).

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٣) سورة ص، الآية ٢٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٦٩.

(٥) صورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(٦) اللسان: مادة (خلف).

(٧) سورة البقرة: ٣٠.

خلقهم فيها^(١). وجاء في الدرّ المصنّون: "وخليفة يجوز أن يكون بمعنى فاعل؛ أي يَخْلُقُكُمْ، أو يَخْلَفَ من كان قبله من الجنّ، وهذا أصحّ لدخول تاء التأنيث عليه، وقيل بمعنى مفعول؛ أي يَخْلَفَ كلّ جيلٍ من تقدّمه، وليس دخول التاء حينئذٍ قياساً"^(٢).

ويبدو أنّ مادة "خلف" قديمة موجودة في اللغات السامية العبرية والآرامية والسريانية والحبشية، إذ تستبدل الخاء العربية بالحاء في هذه اللغات، ودلالاتها الأصلية تدور حول الابتعاد والتغير، ففي العبرية مثلاً، تأتي بمعنى مرّ على، حلّ محلّ، ابتعد^(٣).

والنسب إلى الخليفة "خَلْفِي" بفتح الخاء واللام، كما ينسب إلى حنيفة (خَنَفِي)، والقول (خليفتي) ونحوه خطأ، إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب الياء، وهاء التأنيث على ما هو مقررّ في علم النحو^(٤)، وممّن وَهَمَ في ذلك، المقرّ الشهابي بن فضل الله العمري في كتابه التعريف، حيث قال: "وأول ما نبدأ بالمكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفية، ولعلّه سبق قلم منه وإلا فالمسألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه"^(٥).

والهاء في خليفة للتأنيث، اختلّف فيها بين تأنيث على اللفظ، وتأنيث على المعنى المقدّر، فالقلقشندي في حديثه عن النسبة في خليفة يعدّها للتأنيث^(٦)، ويرى الفراء أنّها للمبالغة، كما يُقال داهية، ويخطئ علي بن سليمان ذلك بقوله: "لو كانت الهاء كما قال

(١) من كتاب مآثر الأنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، اختار النصوص وعلّق عليها شوقي أبو خليل، ط ٢، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٧؛ وصبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٤.

(٢) الدرّ المصنّون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق أحمد الخراط، ج ١، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م، ص ٢٥٣.

(٣) المولد، ص ٣٥٣، نقلاً عن Gesenius 322.

(٤) شرح اللّمع في النحو، الواسطي، القاسم بن محمد بن مباشر، تحقيق رجب عثمان محمد، ورمضان عبيد التواب، ط ١، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٥) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٤٧.

لكانت تأنيثاً حقيقياً^(١). ومذهبه في ذلك أن الهاء للصنعة، وذهب أبو جعفر النحاس إلى أن الهاء لتأنيث الصيغة، بينما ذهب أكثر النحويين إلى أن الهاء للمبالغة، وهذا الرأي استحسنته أبو جعفر النحاس^(٢). وقيل: إن الهاء في (خليفة) صفة لموصول محذوف، والتقدير نفس خليفة^(٣).

ويبدو أن الكلمة جاءت بالهاء للدلالة على المذكر؛ لأنها لا تلتبس بالمؤنث؛ لأن المعروف بأن منصب الخليفة يتولاه الذكور دون الإناث.

وأجاز الكوفيون "قالت الخليفة" على اللفظ، وهو خطأ عند البصريين، إذ لو جاز لقلت "قالت طلحة"، وأنت تريد رجلاً، وأجاز الكوفيون حذف الهاء، وأن يقال فلان خليف فلان^(٤). ونظيره قوله تعالى: (وإقام الصلاة)^(٥)، وفي صبح الأعشى "ربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه، فقالوا: فلان خليف فلان، يعنون خليفته، ثم الأصل فيه التذكير نظراً للمعنى؛ لأنه المراد بالخليفة رجل وهو مذكر، فيقال: أمر الخليفة بكذا على التذكير، وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة، فيقال: أمرت الخليفة بكذا"، وأنشد الفراء:

أبوكَ خليفته ولدته أخرى^(٦)

قاله لتأنيث اسم الخليفة، والوجه أن يكون ولده آخر^(٧).

(١) صناعة الكتاب، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٣) تاج العروس: مادة (خلف).

(٤) صناعة الكتاب، ص ٩٧.

(٥) اللسان: مادة (خلف).

(٦) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٦.

(٧) تاج العروس: مادة (خلف).

ومصطلح الخليفة من أول مصطلحات القيادة والحكم ظهوراً في واقع الدولة الإسلامية، وقد تميّز هذا النظام عن النظام الملكي، بأن لا وراثته فيه، وهو نظام بدأ به المسلمون دولتهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، يطلقه المؤرخون على الخلفاء الراشدين وعلى الأمويين والعباسيين وغيرهم^(١).

وقد ارتقى مدلول الكلمة في بداية عهد أبي بكر رضي الله عنه لتدلّ على خليفة رسول الله ﷺ، وهو أعلى منصب في الدولة الإسلامية آنذاك، ولكن الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، مال إلى تغيير اسم الوظيفة، فأثر أن يلقب بأمرير المؤمنين، ولذلك مسوغاته والتي عالجتها من خلال الحديث عن مصطلح "الأمرير".

ثمّ عاد منصب (الخليفة) من منطلق شمولي عام ليدلّ دلالة خاصة على وظيفة من يلي أمر المسلمين في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين. ففي العهد الأموي والعباسي، كان لقب الخليفة يشير إلى قائد الدولة الإسلامية الذي يتولّى القيادة السياسية والدينية في وقت واحد^(٢)، وقد تراجعت الزعامة السياسية والعسكرية في العهد العباسي، إذ نشأت أكثر من خلافة في بغداد، والمغرب، والقاهرة، والأندلس، وأصبحت سلطة الخليفة اسمية^(٣). وفي عهد المماليك، بقيت السلطة الفعلية في يد السلطان، ولم يكن للخليفة أي نفوذ.

ويوضّح القلقشندي مدى علاقة الخليفة في القاهرة، بسلطة المماليك، فيقول: "والذي استقرّ عليه حال الخلفاء بالديار المصرية، أنّ الخليفة، يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عهداً بالسلطنة، ويدعى له قبل السلطان على المنابر، إلّا في

(١) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٩٧؛ وموسوعة السياسة، ص ٦٢٠.

(٢) معجم العالم الإسلامي، ص ٢٧٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

مصلى السلطان خاصة، ويستبد السلطان بما عدا ذلك من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى للخليفة نفسه^(١).

لقد كانت سلطة الخلفاء اسمية في بغداد، وفي زمن المتغلبين من آل بويه وآل سلجوق، وكانوا خاضعين للسلطين، وظل الوضع حتى الفتح العثماني لمصر وبلاد الشام، حيث نقل السلطان العثماني الخليفة، ومركز الخلافة إلى اسطنبول، وانحط منصب الخلافة، ولم يعد له أهمية، ولم يبال السلطين فيمن يكون خليفة^(٢).

ولم يتخذ السلطين العثمانيون لقب خليفة بصورة فعلية حتى عهد السلطان عبدالحميد الثاني^(٣).

ويلاحظ أن "خليفة" شأنها شأن جميع الألفاظ السياسية قد ارتقت دلالتها في عهد قوة دولتها التي أوجدتها دولة الخلفاء الراشدين، وما تزال لفظة (الخليفة) ذات مكانة عالية عند المسلمين.

وفي عام ١٩٢٤ أعلنت تركيا إلغاء منصب الخلافة، وبقي الإسلام منذ ذلك الوقت بلا خليفة، ولم يتقدم سوى الشريف الحسين بن علي شريف مكة، الذي كان في زيارة نجله الأمير عبد الله، وقت صدور قرار الإلغاء، فأخذ الأمير بحثاً والده على إعلان الخلافة، فوافق وتقلدها بضعة أشهر، بايعه بعض مدن الشام والعراق والحجاز،

(١) صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٢) الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، محمد ماهر حمادة، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص ١٧، ١٨.

(٣) العرب والعثمانيين، عبد الكريم رافق، ط ١، دمشق، ١٩٧٤، ص ٤٢.

ثمّ خسر حكمه على يد عبد العزيز آل سعود، فاختلفت معه الخلافة حتّى العهد الحاضر^(١).

وأطلق لفظ (الخليفة) على دلالات مختلفة ومتعددة، ابتعدت عن الدلالة الأصلية، فهو في الطرق الدينية، نائب شيخ الطريقة، وفي الحركة المهدية خليفة المهدي، وقد أطلق على أشخاص أقلّ شأنًا بأن أطلق على الكاتب الصغير في مكتب عام في تركيا، ونائب الوالي في مراكش، وأطلق في الهند على الحائك والحلاق والطاهي، وفي بلاد أفريقية الغربية أطلق على المعلم المسلم^(٢).

واستخدم رتبة عسكرية، ويعني قائد الخمسين جندياً في عصر المأمون والمستعين، وأطلق على الوكيل أو من يقوم مقام الشخص أو ينوب عنه، وعرف خليفة القاضي، وخليفة الحَاجِب، وخليفة المدينة؛ أي صاحب الشرطة^(٣).

وفي العراق يستخدم لفظ "الخليفة" لمعلم الصبيان في الكتاب أحياناً، ولعامل البناء.

ويلاحظ مدى الانحطاط الدلالي الذي أصاب هذه اللفظة، التي كانت دلالتها نبيلة قوية تدل على أسمى مركز قيادي عرفه الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فتحوّلت دلالتها، فصارت دون ذلك مرتبة، فهان شأنها، وأصبحت تدلّ على بعض الأشخاص ممن هم أقلّ شأنًا في المجتمعات كالحلاق، والطاهي، والحائك، وغيرهم.

(١) تاريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسني، ج ١، دائرة الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٠٠-١٩٨؛ وموسوعة النظم والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ج ٣، ط ٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٧٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (خليفة).

(٣) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، حسن الباشا، ج ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٤٩٧-٤٩٩.

- الرئيس:

جاء في صبح الأعشى "الرئيس بالهمزة على وزن (فَعِيل)، وهو من ألقاب عليّة الناس وأشرفهم، وأصله من الرئاسة، وهي رفعة القدر وعلو الرتبة، والرئيسي نسبة إليه للمبالغة"^(١).

ورد اللفظ في الشعر الجاهلي بمعنى القائد المطاع في قول زهير بن أبي سلمى^(٢):

يَنْظُرُ فُرْسَانُهُمْ أَمْرَ الرَّئِيسِ وَقَدْ شَدَّ السَّرَّوَجَ عَلَى أَتْبَاجِهَا الْحَزْمُ

وجاء بمعنى "رئيس القوم"، وقيل بمعنى مضروب على رأسه في قول لبيد^(٣):

كَأَنَّ سَحِيلَهُ شَكْوَى رَئِيسٍ تَحَازَرُ مِنْ سَرَائِيَا وَاعْتِيَالِ

وجاء في الحديث الشريف "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ خَالَه أَخَاهُ لَأَمِّ سَلِيمٍ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ"^(٤).

اشتقَّ لفظ "الرئيس" من (رأس)، والرأس من كل شيء أعلاه، ويقال مروؤوس ورئيس للمصاب في رأسه^(٥). والرئيس الوالي، والمروؤوس الرعيّة.

ويقال للقوم إذا كثروا وعزّوا: هم رأسٌ، ورأس فلان القوم يرأسهم بالفتح، رئاسة وهو رئيسهم، والجمع رؤساء، والعامة تقول: رؤساء^(٦).

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٤.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له علي حسن فاعور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٧.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٨٤.

(٤) صحيح بخارى، ج ٤، الحديث رقم ١٣٨٦٤، ص ١٥٠١.

(٥) اللسان: مادة رأس.

(٦) اللسان: مادة رأس؛ تاج العروس: مادة رأس.

ورأس عليهم كأمر عليهم، ورأسوه عليهم كأمرؤه. وفي التهذيب "رأسوه على أنفسهم، والقياس رأسوه، لا رؤسوه"^(١)؛ وذلك لأن أصل الاشتقاق (رأس) مهموز عين الفعل وليس من (روس). والرئيس "r>iys" على وزن فعيل بمعنى فاعل وهو سيد القوم. ويمكن أن تُعد صيغة رؤسوه من باب التخفيف، وقد تكون (فَعِيل) بمعنى (مفعول)؛ أي الذي رأسه الناس. ومن المعاني اللغوية للرئيس: سيد القوم، وشاة رئيس أصيب رأسها، ورئيس الكلاب كبيرها، ورأسها كبيرها الذي لا تتقدمها في القنص، والرئيس أبو علي بن سينا^(٢).

وثمة دلالة أخرى لكلمة "رئيس"، فهي تعني الشيء المهم، فيقال: السبب الرئيس، والعنصر الرئيس، "ومسألة رئيسة، أساسية"^(٣). ويقال: "أعضاء رئيسة، وهي التي لا يعيش الإنسان بفقد واحد منها"^(٤). وهناك من ينسب إلى "الرئيس" بمعنى الشيء المهم، بزيادة الياء، فيقول: السبب الرئيسي، والعنصر الرئيسي، وهذا الوصف غير صحيح، والصواب أن يقال: السبب الرئيس، دون نسبة، إذ لا حاجة أن ينسب الشيء إلى نفسه، ويرى إبراهيم السامرائي أن هذه الصفة المنسوبة هي بقايا ما ورثه العرب من العصور التركية؛ "لأنه ليس المراد بهذا الموصوف كوناً خاصاً بالرئيس، فليس هو مثل الوصف.. الأساسي المنسوب إلى الأساس، إنما هو مثل قولهم السبب المهم"^(٥).

ويلاحظ أن الكلمة قد انتقلت دلالتها من أعلى كل شيء وهو الرأس، ثم تطورت لتدل على منصب.

(١) اللسان: مادة رأس.

(٢) تاج العروس، ج ١٦: مادة رأس.

(٣) معجم الوسيط، مادة (رأس).

(٤) المرجع نفسه: مادة (رأس).

(٥) التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ط ٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٣٦-١٣٧.

وقد تستخدم مخففة، قال الكميت:

تهدي الرعية ما استقام الرئيس^(١)

فكلمة رئيس "ra>iys" قلبت الهمزة فيها إلى حرف الياء وأدغمت في الياء الثانية، فأصبحت حرفاً واحداً مشدداً، فصارت "رئيس"، إذ إن الروايات تجمع على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد^(٢).

فالكميت يسوق إلى شعره لفظ رئيس ليؤدي عملية المدح، وإظهار أو إبراز خصائص أخلاق الممدوح، فأتى برئيس على وزن فيعل الذي لم يتجرد عن معنى الرئيس وإن اختلف اللفظ من حيث الوزن والبناء، ولكن المعنى واحد^(٣).

وما تزال لفظة "الرئيس" تستخدم الآن في مصر مخففة، فيقال "الرئيس"، فكثيراً ما يستخدمها المصريون، وربما تكون علة التخفيف راجعة إلى قانون السهولة والتيسير.

وظهرت الصيغتان "الرئيس" و "الرئيس" في النقوش القديمة، فأطلقتا في الدولة الفاطمية على الكاتب فهد بن إبراهيم النصراني سنة ٣٨٨هـ^(٤). وفي العصر العباسي

(١) شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم داود سلوم، ج٣، القسم الثاني، (د.ط)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩، ص ٢١.

(٢) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٧٥.

(٣) الألفاظ الحضارية وخصائصها اللغوية عند الكميت بن زيد الأسدي، سعيد حوزة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٠، ص ٤٣، ٤٤.

(٤) الألقاب الإسلامية، ص ٣٠٧.

استعمل لقب رئيس مشيئة اليهود عند تعيينه من قبل الوزير المتولي أمر الطائفة اليهودية^(١).

وفي عصر المماليك أطلق على أرباب الأقلام من العلماء والكتّاب، وقد ورد مضافاً إلى كلمات أخرى أحياناً، كما في "رئيس الكبراء"، وهو من ألقاب الوزراء، وكان أهل الشام يطلقونه على أكابر أرباب الأقلام مثل قاضي القضاة^(٢).

كما كان لقباً عاماً على الرئيس الديني لطائفة يهود، وهو القائم فيهم مقام "البطريرك في النصارى"^(٣).

ورئاسة اليهود موضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم والقضاء بينهم، وهم على ثلاث طوائف: الربانيين، والقراءين، والسامرة. وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الربانيين دون غيرهم وهو يحكم على الطوائف الثلاث^(٤).

وقد أورد القلقشندي وصية لرئيس يهود من إنشاء ابن فضل الله العمري، أورد فيه وصية لرئيس اليهود حدّد فيها وظائفه، منها: أنه وصيّ بضمّ جماعته، ولم شملهم، والحكم فيهم بقواعد ملته، والتحدث في كنائسهم، وإقامة حدود التوراة فيهم على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة^(٥).

(١) كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، كمال الدين، أبو الفضل عبد الرزاق بن

الفوطي البغدادي، المكتبة العربية، بغداد، ص ١٣.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٧٤.

(٤) صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ١١، ص ٩٩، ١٠٠، ٣٩٠.

ومن ألقاب رؤساء اليهود كما ورد في بعض الوصايا لرئيسهم بالشام: "الرئيس، الأوحد، الأعز، الأخص، الكبير، مشرف الطائفة الإسرائيلية فلان"^(١). يُستدل من ذلك أن لفظة الرئيس عند اليهود، تحمل دلالة واحدة؛ وهي الدلالة الدينية، فهو زعيمهم، والمنظم لشؤون حياتهم.

وفي العصر العثماني، أضيف لقب الرئيس إلى الكتاب، ف قيل "رئيس الكتاب"، وهو موظف في الديوان السلطاني، ذو مكانة عالية، يلي الصدر الأعظم، ويقوم بتحرير ما يتعلق بالشؤون السياسية والاتصالات الخارجية، ومهمته مهمة وزير الخارجية، وألغي منصب الرئيس سنة ١٨٣٦م في عهد السلطان محمود الثاني، وحلت محله وزارة الشؤون الخارجية^(٢).

وأطلق لقب "الرئيس" على أمراء البحر حتى القرن السابع عشر، ثم استبدل بلقب قبطان^(٣). وأطلقت لفظة "الرئيس" على قائد المائة في الجيش الذي في الشام، والعراق، والأردن، أطلقه مجمع دمشق^(٤).

أما في الوقت الحالي، فقد أضيفت اللفظة إلى مفاهيم مختلفة، فيقال "رئيس الجمهورية" للدول التي تتبع النظام الجمهوري، ويضاف إلى الدولة ويقال "رئيس الدولة"، ولا فارق في الدلالة بينه وبين رئيس الجمهورية. وتضاف إلى مفاهيم أخرى مثل: رئيس الحكومة، ورئيس المحكمة، ورئيس الجامعة، ورئيس القسم، وغيرها. فقد أصبح لهذه اللفظة استعمالات متعددة تتفاوت من حيث الأهمية والمكانة.

(١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٧٤.

(٢) معجم الدولة العثمانية، د. حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص ٩٣.

(٣) معجم الدولة العثمانية، ص ٩٣، دائرة المعارف الإسلامية، مادة رئيس.

(٤) معجم متن اللغة، أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ٩٥٨، مادة رأس.

وبلاحظ مدى اختلاف هذه اللفظة في دلالتها على الحكم عن غيرها من ألفاظ الحكم الأخرى، فتطلق تارة على الحاكم في الدولة، وأخرى على من هو أدنى منه درجة، إذ لا ضوابط معينة لهذه اللفظة، مثل ألفاظ الحكم الأخرى كالسلطان، أو الملك، أو الأمير، فهذه الألفاظ ذات دلالة محددة وثابتة، وهي شبيهة بلفظ "ال خليفة" التي تعددت وأطلقت دلالتها في الوقت الحاضر.

– السلطان: sultan

جاء في صبح الأعشى "السلطان اسم خاص في العرف العام بالملوك"^(١)، وهو من ألقاب أرباب السيوف، وأصله في اللغة الحجة، قال تعالى: (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ)^(٢)، ويعني من حجة، "وسمي السلطان بذلك؛ لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الانقياد إليه"^(٣). وضبطها سلطان، على وزن (فُعْلان)، والتسكين على اللام جاء للتخفيف^(٤).

ورد اشتقاق اللفظ "السليط" في قول الأعشى، بمعنى دهن السمسم أو الزيت^(٥):

وَكُلُّ كَمَيْتٍ كَانَ السَّليطُ ————— طَ في حَيْثُ وَارَى الأديمُ الشَّعَارَا

وورد صريحاً بمعنى "قوة الحب" في قول عنتره بن شداد^(٦):

يا شأسُ لولا أنَّ سُلْطانَ الهوى ماضي العزيمة ما تَمَلَّكَ عَنْترا

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٧.

(٢) سورة سبأ: ٢١.

(٣) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٧.

(٤) المتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٦، ص ٩٠.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص ٥٣.

(٦) شرح ديوان عنتره بن شداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ص ٧٤.

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بمعنى القوة، قال تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ»^(١)، وورد بمعنى الحجة والبرهان، قال تعالى: «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ»^(٢).

وجاء في الحديث الشريف "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"^(٣)، بمعنى صاحب السلطة.

واختلف في اشتقاقه: فقليل مشتق من "السلطة"، سلّطه الله، فتسلّط عليهم، وهي القهر والغلبة لقهره الرعية وانقيادهم له. وقيل من السليط: وهو زيت الشيرج بلغة أهل اليمن؛ الذي يضاء به، وسمي بذلك؛ لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق. وقيل من السليط: "اللسان السليط" الحاد والماضي، وذلك لمضي أمره ونفوذه^(٤). ومن معاني كلمة (السُلطان) الحجة والبرهان، والوالي، والسُلطان من كل شيء شدته، وسلطان الدم نبعة، وسلطان النار التهابها^(٥).

والسلطان يذكر ويؤنث، فمن ذكره ذهب به إلى معنى الواحد، ومن أنثه ذهب به إلى الجمع، وهو جمع مفردة "سليط"، فسليط وسلطان مثل رغيف ورغاف^(٦).

قال أبو حاتم السجستاني "السلطان يذكر ويؤنث، سمعت من أثق به يقول: أتيت سلطاناً جائراً، وقضت به عليك السلطان، وأما في القرآن فمذكر كله"^(٧).

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٢) سورة سبأ، الآية ٢١.

(٣) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٧١.

(٤) اللسان، مادة (سلط)، وصباح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٧.

(٥) تاج العروس: مادة سلط.

(٦) صناعة الكتاب، ص ١٠.

(٧) المذكر والمؤنث، أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، تحقيق حاتم الضامن، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٣٤.

وقد يذكر السلطان على أنه بمعنى الرجل، ويؤنث على أنه بمعنى الحجة، وجمعه سلاطين.

والنون في السلطان زائدة؛ لأن أصل بنائه من سلط، وفي هذا يقول ابن جني "إذا وجدت كلمة في صدرها ثلاثة أحرف من الأصل، وفي آخرها ألف ونون، فاقض بزيادة الألف والنون، وإن لم تعرف الاشتقاق، لكثرة ما جاءت زائدتين، فيما عرف اشتقاقه، نحو، سرحان، سعدان"^(١). فأصل سلطان "سلط" فزيدت الألف والنون، وبنيت على وزن (فُعْلان)، وزيادتهما لا بد أن تؤدي دلالة معينة، وفي ذلك يقول حسن الترابي "إن زيادة الألف والنون في "سلطان" هي تعريف ودلالة على معنى أبلغ"^(٢). فهي للمبالغة، فللحرف في العربية واللغة السامية بعامّة قيمة تعبيرية موحية، فهو ليس مجرد صوت فحسب، فصوت النون فيه معنى الظهور والبروز^(٣)، و "يتميز بقوّته الاسماعية العالية وغنّته الموسيقية"^(٤). فزيادة الألف والنون في (سلطان) أعطت دلالة فيها معنى التفخيم والتعظيم، بخلاف نطقها مجردة من الزيادة.

والسلطان كلمة عربية، قيل إنها مشتقة من السريانية "sultana"، ومعناها القوة، ومن يحسن استعمال القوة^(٥)، فهي مشتقة من "سلت" "salata"، ثم انتقلت إلى "salada" بتفخيم صوت التاء. فالتاء صوت انفجاري مرفق مهموس، استبدل هذا الصوت بصوت "الطاء" الذي له ميزة صوتية عالية مكّنته من احتلال موقع التاء^(٦).

(١) المنصف شرح كتاب التصريف "للمازني"، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبدالله أمين، مصر، ١٩٥٤، ج ١، ص ١٣٤.

(٢) المصطلحات السياسية في الإسلام، ص ٢٥.

(٣) الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٥، ص ١٣.

(٤) علم الصرف الصوتي، ص ٨٧.

(٥) موسوعة السياسة: ص ٢١٣، ٢١٤؛ ودائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(٦) علم الصرف الصوتي، عبدالقادر عبدالجليل، ط ١، أزمنة للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨، ص ٤٣.

ويلاحظ أن الكلمة قد طرأ عليها تغييران أفادا التّفخيم: "ضم المقطع الأول "sul"، وزيادة الألف والنون.

وقد اكتسبت اللفظة ثلاثة مدلولات: الأول بمعنى القدرة والسلطة، والثاني بمعنى الماسك للقدرة أو السلطة، والثالث يحمل معنى اللقب أو الوظيفة^(١).

والفرق بين "السلطان، والمَلِك" أن المَلِك القدرة على أشياء كثيرة، والسلطان القدرة على أشياء كثيرة أو قليلة، لذا يقال في داره سلطان، ولا يقال في داره ملك^(٢). "فالسلطان أعم من الملك، يُقدّم عليه في قولهم "السلطان الملك الفلاني، ليقع السلطان أولاً على الملك وعلى غيره، ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك"^(٣).

ويذكر القلقشندي أن أول من لُقّب به "خالد بن برمك"؛ وزير الرشيد لقّبهُ تعظيماً له^(٤)، ممّا يوحي بدلالة هذا اللفظ على العظمة.

وشاع استعمال اللقب في العهد الفاطمي، وفي عهد البويهيين، أمّا في عهد السلاجقة، فقد ارتقت دلالة اللفظ، فأصبح لقب سلطان أسمى ما يمكن أن يلُقّب به زعيم إسلامي، فحل محل أمير الأمراء، وأخذ لقب سلطان يتحدّد بكونه حاكماً أعظم، ولقب الملك بوصفه حاكماً تابعاً^(٥).

(١) موسوعة السياسة في الإسلام، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٢) كتاب الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد الحمصي، جروس برس، ط١، لبنان، ١٩٩٤، ص ٢٠٧.

(٣) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٤٨.

(٥) الألقاب الإسلامية، ص ٣٢٥؛ موسوعة السياسة، ص ٢١٣؛ والألقاب الإسلامية، ص ٣٢٦.

وانتقل اللقب إلى الدولة الأيوبية، وأطلق على صلاح الدين لقباً فخرياً، وورد ذلك في المراجع التاريخية، وأيدت ذلك النقوش التي عُثر عليها، مع أن الألقاب الرسمية في ذلك الوقت كانت تتّرن بكلمة (ملك)^(١).

وقد ورث المماليك اللقب عن الأيوبيين، ومع أن لقب السلطان كان لقباً عاماً أطلق على الحاكم في عصر المماليك، إلا أنه أطلق في بعض الأحيان على أولياء العهد من أبناء السلاطين^(٢).

وفي هذا العصر ارتقت دلالة اللفظ، وأصبح الحكّام يفضلون لقب السلطان، ويستشعرون معه عظمة الحكم، أكثر من استشعارهم مع لفظ "الملك"، وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: "حين نستعرض الاستعمال العربي القديم للفظي السلطان والملك، لا نكاد نلمح فرقاً واضحاً بينهما، فكل منهما يطلق على صاحب الحكم والولاية، حتّى كان القرن السابع الهجري، فأصبح كل من اللفظين لقباً عظيماً من ألقاب الحكّام، إذ كان الحاكم يُؤثر أن يلقّب بلفظ (السلطان)، إذ يستشعر معه عظمة الحكم أكثر من استشعاره مع لفظ الملك"^(٣).

وكانت كلمة (سلطان) في تركيا لقباً رفيعاً، يحمله الأمراء والحكّام، ويوضع أمام اسم الحاكم أو الأمير^(٤).

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(٢) الألقاب الإسلامية، ص ٣٢٨.

(٣) دلالة الألفاظ، ص ١٥٨.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

وكان السلطان العثماني يُعرف بلقب (خُنْكار)، وتعني بالتركية (السُّلطان الأعظم)^(١). وشاع استعمال الكلمة في التركية بمعنى أمير^(٢). والسلطان في الفارسية تعني الملك، وكان يستعمل في فارس لقباً للموظفين والولاة^(٣).

ولعلّ أول تطوّر طرأ على استعمال الكلمة هو اتخاذها لقباً، مثل: سلطان العاشقين، الذي لُقّب به الشاعر ابن الفارض، وسلطان العلماء، الذي كان يحمله بهاء الدين الرومي^(٤). أمّا في العصر الحديث، فقد أصبح لقب الملك لقباً أرقى، ومركزاً أعلى بين الحكّام من لقب السلطان، فقلّ استعمال لفظ "السلطان" بالمقارنة مع لفظ "الملك"، ويبدو أنّ الواقع السياسي والتأثر بالأنظمة الأخرى له أثره في ذلك، إذ إنّ لفظ "الملك" يستخدم في أنظمة الحكم الغربية التي لها دور حضاري كبير الآن، ولم يرد لقب "السلطان" في أنظمة حكمهم.

واشتقّ من مصطلح السلطان مصطلح السلطنة، والذي يُعدُّ أحد تطبيقات الحكم الملكي، ومن نماذجه سلطنة عُمان، وسلطنة بروناي^(٥).

– القُنْصُل: Kunsul

القُنْصُل من ألقاب زعماء النصاري، وكان يقال فيه القنصل المحتشم الكبير، الهمام^(٦)، وهو لا يكتّاب عن السلطان، فمقامه دون أن يكتّاب عن الأبواب السلطانية^(٧).

(١) العرب والعثمانيون، ص ٤٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(٣) المصدر نفسه، مادة (سلطان).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (سلطان).

(٥) معجم المصطلحات السياسية، محيي الدين هلال وآخرون، ط ١، تحرير وتقديم د. نيفين مسعد، مطبعة

أطلس، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢١٠.

(٦) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٨٠.

(٧) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٥٣.

ويقصد بالمكاتبة الرسائل التي تصدر عن ديوان الإنشاء، فكل رسالة لها صيغة معينة بالنسبة للجهة المرسل إليها، وفي هذه المكاتبات يذكر "السلطان" وألقابه وعلامته^(١). ويستدل من ذلك أن مقام (القنصل) ورتبته هي دون أن يكتب إليه من السلطان رسائل تحمل اسمه وعلامته.

ووردت لفظة "القنصل" في (اللسان)، بمعنى وحيد، وهو القصير^(٢)، أي القصير من الرجال، إذ لا يوجد أدنى علاقة بين معناها كما وردت في لسان العرب، ومعناها لقباً من ألقاب النصارى.

وورد اللفظ في شعر تأبط شراً علماً على شخص^(٣):

وَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى وَإِنْ طَالَ عَيْشُنَا صَنِيعَ لَكَيْزٍ وَالْأَحْلَ بْنَ قُنْصُلٍ

والأحل رجل من بجيلة كان حليفاً لهذيل، فالبناء الصوتي للكلمة موجود في الشعر الجاهلي، ولعل استخدامها مما يسمى بها الآن سلطان أو أمير علماً على شخص. واللفظة في أصلها لاتينية، معناها (مستشار)، والجمع قناصل، والأصل في إطلاقها على أحد الحكام الرئيسيين في جمهورية روما القديمة^(٤).

واستمرت دلالة الكلمة بعد تعريبها في الوقت الحاضر، لتصبح وظيفة دبلوماسية. جاء في المحيط "القنصل في اصطلاح أرباب السياسة، مأمور ترسله دولة إلى دولة أخرى أجنبية؛ لأجل حماية حقوقها وتجارتها"^(٥).

(١) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) اللسان، مادة (قنصل).

(٣) ديوان الصعاليك، ص ١٥٩.

(٤) محيط المحيط، مادة، مادة (قنصل).

(٥) المصدر نفسه، مادة (قنصل).

وفي الوسيط: القنصل "النائب عن دولة في دولة أخرى يحمي حقوقها وتجارتها ويدافع عن رعيّتها، ومرتبته دون مرتبة الوزير المفوض، ومرتبة هذا دون مرتبة السفير" (١).

ووردت لفظة (القنصل) بالكاف، فقليل "الكُنْصُل" (٢)، إذ جرى إبدال بين حرف الكاف والقاف، والإبدال اللغوي، ظاهرة صوتية تعرّض لبعض أصوات العربية تقوم على إقامة حرف مكان حرف، مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة (٣). ولهجة كُنْصُل بإبدال القاف كافاً، موجودة حالياً في بعض المناطق في عمّان، وفي بعض دول الخليج تقلب القاف جيماً قاهريّة أو ياءً.

وقد يبدّل صوتا القاف والكاف من بعضهما؛ لأنّهما صوتان يدلان على الشدّة والاصطدام والتمكّن، وهما يقتربان مخرجاً، ويتّفان صفة (٤). فقد أبدلت الكاف وجعلت قافاً، فالكاف صوت مهموس، والقاف صوت مجهور، ومنهج العربية أن ترفع من حدّة الصوت عند الإبدال. فالتميميون يفضلون القاف على الكاف، فقالوا: "قشطتُ الجلّ عن الفرس"، بدلاً من "كشطته"، فهم يجنحون إلى الأشدّ الأفخم (٥).

وكما يحدث التبادل بين صوت القاف والكاف، فإنّه يحدث أيضاً بين صوت الصاد والسين، فالكلمة باللاتينية (كُنْصُل kunsul)، حيث أبدلت السين صاداً، فالسين

(١) معجم الوسيط، مادة (قنصل).

(٢) صبح الأعشى، ج ٨، ص ٥٣.

(٣) التطور اللغوي التاريخي، ط ٣، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص ١١٠.

(٤) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، منشورات جامعة سبها، ١٩٨٨، ص ١٣٠.

(٥) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص ٩٥، ٩٦.

والصاد، أصوات متقاربة مخرجاً وصفة^(١). فقد جرى على هذه اللفظة تغييران؛ الأول: إبدال الكاف قافاً، والثاني: إبدال السين صاداً.

واللفظ في الفارسية "قُنسول" kunsul ، و"كنسول" kunsul^(٢).

وقد أنيطت بالقنصل في الوقت الحاضر مهام ووظائف تتمثل في حماية مصالح الدولة الموفدة، ومصالح رعاياها، وعلاقاتها التجارية والثقافية، وإصدار جوازات السفر^(٣).

ويميز بين نوعين من القناصل الآن: القناصل المبعوثون، وهم موظفو الدولة الذين تعيّنهم دولهم لإدارة شؤون القنصلية، وليس لهم الاشتغال بأيّة مهنة أخرى. والقناصل الفخريون: الذين تعيّنهم الدولة من بين الأشخاص المقيمين في الجهة التي ترغب أن يكون لها فيها تمثيل قنصلي، ويمكن أن يكونوا من رعايا الدولة التي تختارهم، ولا يعدّون موظفين للدولة التي يمثلونها، وإنّما مجرد وكلاء عنها، ولا يتقاضون رواتب، ويسمح لهم بالاشتغال بالأعمال الحرّة^(٤).

والنسبة إلى القنصل "قنصلي" ومنها كلمة القنصلية (أي مقر القنصل).

- المَلِكُ:

جاء في صبح الأعشى "المَلِكُ: الزعيم الأعظم ممّن لم يطلق عليه اسم الخلافة"^(٥)، وهو من ألقاب أرباب السيوف". والمَلِكُ صفة مشبّهة على زنة (فعل).

(١) دراسات في فقه اللغة، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٢) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ٢، (٢١١٦، ٢٢٩٦).

(٣) موسوعة السياسة، ص ١٥٧.

(٤) معجم المصطلحات السياسية، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٥) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٧.

ورد اللفظ في الشعر الجاهلي في قول عمرو بن كلثوم^(١):

إذا ما المَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا أبينا أن نقرَّ الدُّلَّ فينْـسَـا

وورد بصيغة ملك في قول أمية بن أبي الصلت^(٢):

ملكٌ على عرشِ السماءِ مُهَيَّمِنٌ لعزتهِ تَعْنُو الوجوهُ وتَسْجُدُ

وورد بصيغة الجمع في قول لبيد بن ربيعة^(٣):

ويوماً بصحراءِ الغبيطِ وشَاهِدِي الملوكُ وأردافُ الملوكِ العَرَايرُ

وقد ورد لفظ (المَلِك) في القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: (إنَّ الله

قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)^(٤)، (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِأَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي)^(٥)، (وَكَانَ

وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)^(٦).

وجاء اللفظ في حديث النبي ﷺ عن آخر النَّاسِ خروجاً يوم القيامة "أُتْسَخِرُ مِنِّي

وَأَنْتَ الْمَلِكُ"^(٧).

جاء في اللسان الملك: هو الله سبحانه وتعالى، ملك الملوك، وملك الخلق

ومالِكهم، والمَلِك، والملك، والملِك، والمالك، ذو المَلِك، والمَلِك من الملائكة، واحدٌ

وجمع، ويقال ملائكة وملائك^(٨).

(١) شرح ديوان عمرو بن كلثوم التغليبي، تحقيق رحاب عكاوي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦،

ص ١٠٦.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق عبد الحفيظ السلطي، ط٢، دمشق، ١٩٧٧، ص ٣٦٨.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٢١٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٥) سورة يوسف، الآية ٥٤.

(٦) سورة الكهف، الآية ٧٩.

(٧) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسبوري، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٤، ج ١، حديث رقم ١٨٦، ص ٥٧٧.

(٨) اللسان، مادة (ملك).

"والمَلِكُ مقصور من "مالك"، أو "مليك"^(١): malik ► malik . فالذي حدث، أنَّ الألف قُصِّرت، من فتحتين إلى فتحة واحدة، وأصبحت malik، وأمّا تقصيرها من (مليك)، فيكون بحذف الصوت الصامت الياء malik → malik .
والمَلِكُ مخففة من مَلِك، مثال فَخَذَ وَفَخَذَ^(٢)، وَكَبَدَ وَكَبِدَ، فالعرب يسكنون وسط الاسم في الضمّ والكسر استتقالات^(٣).

Malik → ma / l / kun

فملك بتحريك الوسط تتكوّن من ثلاثة مقاطع، ويتسكين الوسط تصبح مقطعين، فنطقها بالتسكين أخفّ من نطقها متحركة.

قال أبو جعفر النحاس "مَلِك" مصدر (مَلِك)، ويقال: مَلِك، ومَلَك، ومَلِك^(٤).
ويقال "مليك" "maliyk" نقلت (ملك) من وزن (فَعِل) إلى وزن (فَعِيل) بزيادة "الياء" فعيل بمعنى فاعل.

وجمع المَلِك مَلُوك، وجمع المَلِك أملاك، وجمع المَلِك ملكاء، وجمع المَلِك مَلَك، ومَلَك. ومَلَك القوم فلاناً على أنفسهم صَيَّرُوهُ مَلَكاً^(٥).

واختلف العلماء في أيهما أبلغ المالك أم المَلِك، فقيل "مَلِك" أعمّ وأبلغ من "مالك"، إذ كل مَلِك مَلِك، وليس كُلّ مَلِك مَلِكاً، وقيل "مالك" أبلغ؛ لأنه يكون مالِكاً للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ وأعظم، إذ إليه إجزاء قوانين الشرع، ثمّ عنده زيادة الملك^(٦).

(١) اللسان: مادة (ملك).

(٢) اللسان: مادة (ملك).

(٣) كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ص ١٠٥.

(٤) صناعة الكتاب، ص ٩٧، ٩٨.

(٥) اللسان، مادة (ملك).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، ط١، ج ١، ١٩٥٢، ص ١٤٠.

وقيل "المَلِك" بكسر اللام، أدلّ على التعظيم بالنسبة إلى المالك؛ لأنّ التصرّف في العقلاء المأمورين بالأمر والنهي، أرفع من التصرّف في الأعيان المملوكة^(١).

وقرأت الآية (مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ)^(٢)، "مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ"، وبَيَّن الطبري اشتقاقها ومعانيها، ورجَّح ملكاً على مالك، وفي ذلك: إِنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلْكِ، وَمَالِكاً مِنَ الْمَلِكِ، ومعناه على الأول أن الله تعالى المنفرد بالملْك دون الملوك الجبابرة الذين كانوا في الدنيا يَنَازِعُونَهُ الْمُلْكَ، ويدافعونه العظمة والكبرياء، ومعناه على الثاني أنه لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حُكْماً؛ فهو الذي يملك الحكم بينهم وفصل القضاء^(٣).

وقيل: إِنَّ مَالِكاً أَبْلَغَ فِي مَدْحِ الْخَالِقِ مِنْ "مَلِكٍ"، و "مَلِكٍ" أَبْلَغَ فِي مَدْحِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ "مَالِكٍ"، والفرق بينهما، أَنَّ الْمَالِكَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَلِكٍ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى مَالِكاً، كَانَ مَلِكاً^(٤). فمالك لفظ اختصّ بالذات الإلهية، وهو أكثر إحاطة وشمولاً وتصرّفاً من الملِك، فقد خصّص اللفظ بإضافته إلى يوم الدين، فأنه مالك يوم الدين، ومالك الملِك، وخصّصت إضافتها إلى الغفران، قال الفرزدق^(٥):

سُبْحَانَ مَنْ عَنَتَ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ مَلِكِ الْمُلُوكِ وَمَالِكِ (الْغَفْرَانِ)

ولو قال: "ملك الغفر لم يحسن؛ لأنّ الغفران بيد الله سبحانه وتعالى^(٦).

(١) كتاب الكليات، أبو البقاء الحسيني، تحقيق عدنان درويش، محمد الحصري، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢، ص ٨٥٣، ٨٥٤.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٤.

(٣) تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن حربي الطبري، مجلد ١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٩٤، ٩٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٠.

(٥) نسبه أبو هلال العسكري في كتابه الفروق إلى الفرزدق، ولم أجده في ديوانه، شرح ديوان الفرزدق، إيليا حاوي، ط٢، الشركة العالمية للكتاب.

(٦) كتاب الفروق اللغوية، ص ٢٠٠.

وأما (ملك)، فهي صيغة مبالغة على وزن "فعل"، مثل السميع، وعليم، وهو بمعنى (فاعل) يتضمن معنى التكثير والمبالغة، وليس معنى (فاعل) أنه استحق من أصله الصفة بذلك، وإنما يراد به إعمال ذلك في الإعراب، على تقدير أسماء الفاعلين^(١).

والملك لقب معروف في اللغات السامية، وقديماً عرفت حضارة ما بين النهرين في بابل على عهد حمورابي ١٧٩٢-١٧٥٠ النظام الملكي^(٢)، وفي جنوب الجزيرة العربية، عرفت اليمن "دولة سبأ" الملكية، وورد ذكره في النقوش العربية القديمة، إذ يُعدُّ نقش "صرواح"^(٣)، الذي تركه ملك سبأ، أقدم نقش عُثر عليه في جنوب بلاد العرب^(٤)، وعرفت بادية الشام في تدمير والأنباط نظام الملكية^(٥)، وورد اللقب في نقش "النمارة"^(٦)؛ الذي ينسب إلى امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة والذي يعود إلى سنة ٣٢٨م^(٧).

ويرد "ملك" في الآشوري البابلي: ملكو، وفي الآرامي "ملكا"، وفي لغات جنوب الجزيرة "ملكي" سيد^(٨). ويرد في اللغة العبرية بلفظ "ملخ"، إذ يماثل حرف الخاء في العبرية "حرف الكاف في العربية"، مثل "أخل" أكل، وملخ، "ملك"^(٩).

(١) كتاب الفروق اللغوية، ص ٢٠١.

(٢) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص ٣٠٢.

(٣) صرواح: اسم بلدين خربتين في جنوب الجزيرة العربية (دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٤، مادة صرواح).

(٤) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص ٣٠٢.

(٥) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص ٣٠٢.

(٦) النمارة: قصر صغير للروم في الجزيرة الشرقية من جبل الدروز (تاريخ اللغات السامية)، أ. ولفنسون، دار القلم، بيروت، ص ١٦٦.

(٧) الألقاب الإسلامية، ص ٤٩٦؛ وتاريخ اللغات السامية، ص ١٦٦.

(٨) تاريخ اللغات السامية، ص ٢٥٣.

(٩) المعجم العبري الحديث، ربحي كمال، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ص ١٩٧٥، مادة ملك، ص ٢٣.

ويستدلّ من ذلك أصالة هذا اللفظ في اللغات السامية، التي منها اللغة العربية.

ولم يعرف اللقب بصفة رسمية في صدر الإسلام، ولا في العصر الأموي، إذ اقتصر على لقب "ال خليفة"، و"أمير المؤمنين". وورد بصيغة غير رسمية في قول الحطيئة يمدح الخليفة عمر بن الخطاب^(١):

يا أيُّها الملكُ الذي أمستَ لهُ بُصْرَى وغزوةٌ سهلها والأجرُ

وأخذ في العصر العباسي بعض الولاة يستقلّون عن مركز الخلافة، فأدى ذلك إلى ظهور لقب (الملك) الذي يحمل معنى السيادة العليا^(٢). ويتّضح أنّ الواقع السياسي، كان له أثره في ظهور هذا اللقب نتيجة استبداد بعض رجال الدولة بالسلطة السياسية، واستغلال بعض الولاة.

وعرف اللقب في دولة بني بويه، وفي عصر السلاجقة، مع أنّه أصبح لقباً للولاة الفرعيين، بينما اختصّ رب أسرة السلاجقة بلقب السلطان. وفي العصر الفاطمي، ظهر اللقب، وقيل إنّ أول من لقّب به الملك الوزير "رضوان" وزير الحافظ، ويذكر القلقشندي أنّه لا ينكر في تسمية الوزير ملكاً، فقد ورد في قصّة يوسف عليه السلام^(٣)، «وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى»^(٤).

وفي العصر الأيوبي احتُفظ باللقب، فظلّ صلاح الدين يلقّب بالملك الناصر، ومن قبله نور الدين سُمّي بالملك العادل، إلى جانب الألقاب الأخرى التي اتخذها، ولم يكن

(١) ديوان الحطيئة، ج ١، ص ٢١٠، تحقيق نعمان أمين طه، ط ١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨.

(٢) الألقاب الإسلامية، ص ٤٩٧.

(٣) سورة يوسف: (٥٤)؛ صبح الأعشى، ج ٩، ص ٤٠٣.

(٤) صبح الأعشى، ج ٩، ص ٤٠٣.

اللقب مقتصرًا على رؤساء الدولة، بل كان يطلق على أبنائهم، وإن لم يكونوا أولياء عهد^(١).

واستمر إطلاق اللقب في عصر المماليك إلى جانب لقب السلطان، فيقال "السلطان الملك"^(٢)، وكان يرد لقب "الملك" بين ألقاب السلطان، والنعت الخاص به، فيقال "السلطان السيد الملك الفلاني"^(٣)، "والسلطان الملك الناصر"^(٤). فتقديم السلطان على الملك، يبرز مكانة السلطان وأهميته، وإضافة الملك إلى السلطان، لا بد أن تؤدي دلالة، وهي التأكيد على عظمة السلطان.

واستعمل اللقب في مخاطبة الملوك من غير المسلمين من النصاري^(٥). ويرد أحياناً مضافاً إلى ياء النسبة "الملكي" malakiy، يقول القلقشندي "الملكي بفتح اللام من ألقاب الملك، وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء، ومن في معناهم، وهو نسبة إلى الملك بكسر اللام، وإنما فتحت لامه في النسب جرياً على قاعدة النسب في "تمر"، فإنه ينسب إليه "تمر" بفتح الميم على ما هو مقرر في علم النحو، والنسبة فيه للمبالغة، ومن الخطأ كسر اللام في النسب"^(٦). فيستند القلقشندي إلى قاعدة صرفية مقيسة على لفظة "تمر"، ويخطئ كسر اللام في النسب إلى الملك؛ لأن هناك صعوبة في لفظ الكلمة مكسورة اللام. فملك malik، النسبة إليها malakiy، والأصل malikiy، فنظراً لصعوبة نطق الصوت الصامت (k) بين صائتين li أبدل الأول فتحة، لكي يستبين المقطع الأخير بمخالفته.

(١) الألقاب الإسلامية، ص ٥٠٠.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥، ٤٤٨، ٤٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٧٩.

(٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٠.

ودخل اللفظ في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل "ملك الإسلام، وملك البحرين، وملك المسلمين، وملك الأمراء"^(١).

وفي العصر الحديث أصبح (الملك) لقباً أرقى، ومركزاً أسمى بين الحكام من ألقاب القيادة الأخرى، وبخاصة لقب السلطان^(٢).

- النائب: na>ib

يصفه القلقشندي بالألقاب المحدثه، التي تقع تحت مسمى ما أصله عربي، فهي لفظة عربية^(٣)، ووظيفتها لم تكن معروفة قديماً، إنما استحدثت في عصر المماليك. والنائب اسم فاعل على زنة (فاعل)، اشتق من مادة (نَوَب)، فيقال: ناب الأمر نوباً ونوباً (نزل) ونائبهم نواب الدهر، مصائبه وحوادثه، والنواب جمع نائبه. والنُوب: النحل، وهو جمع "نائب"، مثل "عائط، وعوط"، وسميت بذلك؛ لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها^(٤). فمجازاً أطلق لفظ النائب على النحل. وقيل: النُوب جيل من السودان، مفردة "نوبي"، وبلاد النوبة وطن ذلك الجيل ويقع في الجزء الجنوبي من بلاد مصر^(٥). وناب فلان عن فلان ينوب مناباً ونوباً: أي قام مقامه، وناب عني في الأمر نيابة إذا قام مقامك، ومنها اشتق اللفظ "النائب"^(٦)، والجمع نواب.

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٥؛ ج ٦، ١٦، ص ٩٤.

(٢) دلالة الألفاظ، ص ١٥٩.

(٣) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٤) اللسان: مادة (نوب).

(٥) معجم الوسيط، مادة (نوب).

(٦) المصدر نفسه، مادة (نوب).

والنائب: "من يقوم مقام شخص أو أشخاص بكامل المسؤولية، كنائب السلطان، ونائب الوالي"^(١). ويعرفه القلقشندي بقوله "هو القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها، والهمزة منقلبة عن واو، ناب فلان عن فلان ينوب مناباً ونوباً"^(٢).

فأصل الفعل "تَوَبَّ" nawaba ، وهو فعل أجوف، والأجوف ما كان وسطه صوت صائت طويل، وسبب تسميته يعود لخلو وسطه من الأصوات الصامتة الصاح، ومثله قال: باع، صام. فعندما تحركت الواو في "تَوَبَّ"، وانفتح ما قبلها انقلبت ألفاً، فصارت "ناب" naba^(٣).

واشتق اسم الفاعل من "تَوَبَّ" "تَوَبَّ" nawib ، فجاءت الحركة المزدوجة "wi" فسقطت نواتها "w" وأبدلت همزة، فأصبحت "نائب" "na>ib" وجيء بالهمزة لإيضاح الصوت وإبانته. وهذا قياس يجري في بناء اسم الفاعل على وزن فاعل من الثلاثي الأجوف، بنوا عليه الأجوف الواوي، والأجوف اليائي حسب النظرية الصرفية الحديثة^(٤).

وعرف لقب نائب الوزارة في العصر العباسي، وأطلق على فخر الدين بن المؤيد العلقي^(٥)، وعرفت وظيفة نائب الحسبة^(٦)، ونائب القاضي^(٧)، ونائب قاضي القضاة أيضاً^(٨).

(١) البستان، عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، مادة (نوب)؛ الهادي إلى لغة العرب، حسن الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١، مادة (نوب).

(٢) صبح الأعشى، مصدر سابق، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٣) علم الصرف الصوتي، ص ١٨٧.

(٤) دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ص ١٥٠، ١٥١.

(٥) كتاب الحوادث الجامعة، ص ٦٢٨.

(٦) تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، بدري محمد فهد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٢٥.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢١١.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٨٨.

والنائب كما يقول القلقشندي: "لفظ يطلق في العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجاً عنها في قرب أو بعد"^(١). وهو منصب مهم من المناصب التي أوجدها المماليك، فقد كان أوائل ملوك المماليك محاربين يقودون الجيش بأنفسهم، فيقتضي ذلك غياب السلاطين عن مقرّ حكمهم، ممّا يتطلّب وجود شخص يصرفّ أمور المملكة في غياب الملك، لذلك أوجدوا هذا المنصب والذي يسمّى كافل المملكة^(٢).

ووظيفة "النائب" الذي يعدّ المنصب الثاني بعد السلطان، كان يشكّل خطراً عليه، فقد يستغلّ "النائب" وضعاً معيناً؛ كضعف السلطان، أو صغر سنّه، فينحّي السلطان ويستولي على الحكم، كما فعل "بيبرس"^(٣).

ويوصف النائب عن السلطان بالحضرة في عُرف الكتاب "بالكافل"، فيقال النائب الكافل^(٤). والكافل في اللغة، يكفل الإنسان ويعوّله، والكافلي، النسبة إليه للمبالغة^(٥). والنائب الكافل في الحضرة السلطانية، يعادل في عصرنا رئيس الوزراء^(٦). وهناك نوع آخر من النيابة، يسمّى "نيابة الغيبة"، فنائب الغيبة هو الذي يترك إذا غاب السلطان، والنائب الكافل. ووظيفته إخماد الثورات وخلاص الحقوق^(٧).

ويبيّن القلقشندي مدى نفوذ النائب الكافل بقوله "إنّه يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويُعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير، ولنائب السلطنة أن يستخدم الجند

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٢) الوثائق السياسية والإدارية في العصر المملوكي، ص ٢٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٩، ٣٠.

(٤) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٤.

(٦) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٤٩.

(٧) صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٧، ١٨؛ ج ٧، ص ١٥٥.

من غير مشاورة السلطان، ويعيّن أرباب الوظائف الجليلة؛ كالوزارة وكتابة السر، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان الثاني^(١)، وقد ضعفت نيابة السلطنة في عهد السلطان قلاوون، ثم ألغيت مع الوزارة سنة ٧٢٧هـ، ولكنّها أعيدت ثانية سنة ٧٤٢هـ، وزالت أثناء حكم السلطان برقوق^(٢).

وهناك منصب آخر هو "نائب السلطنة"، والجمع نواب السلطنة، فقد كانت الدولة المملوكية تنقسم إلى مجموعة أقاليم، كل منها يسمّى مملكة، وكانت تسمّى في مجموعة بالمالك الإسلامية، وقد قسّمت الشام التي كانت خاضعة لحكم المماليك إلى ممالك، وعرفت بالنيابات والذين يعيّنون فيها يعرفون بنواب السلطنة^(٣).

وفي الدولة العثمانية ظهر لقب "النائب"، وكان له أكثر من دلالة تختلف عن دلالة اللقب في عصر المماليك، إذ كان يطلق على القاضي الذي يمثّل أدنى درجات السلم القضائي (قاضي القضاة، رئيس القضاة، النائب). والنائب "القاضي" كان يباشر عمله في المدن الصغيرة، ويحلّ محل القضاة أثناء غيابهم عن عملهم^(٤).

وكان يطلق أيضاً على صاحب الأحكام في الجند، ويسمّى عندهم بالنائب لهذا العهد^(٥).

وفي العصر الحديث ما زالت اللفظة تستخدم، وتحمل أكثر من دلالة وتختلف بحسب ما تضاف إليه، فنائب جلالة الملك، هو الذي يقوم مقام جلالة الملك حال غيابه

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦، ١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨٦-٨٧؛ ج ٤، ص ١٧.

(٣) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٤٤.

(٤) الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ص ٤٣٢.

(٥) مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، ط ١، سميح دعيم، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠، ص ١٠٤٢.

عن أرض الوطن، ونائب الشعب هو الممثل لأبناء الشعب في البرلمان، والقائم مقامهم في المجلس.

وثمة استخدامات أخرى لهذه اللفظة في مختلف الدوائر والمؤسسات، فيقال: نائب الرئيس، ونائب المدير، ونائب العميد، ونائب المحافظ. ولفظ "النائب" يستوي فيها المذكر والمؤنث، فيقال النائب "للمذكر" في البرلمان، والنائب "للمؤنث" في البرلمان للتغليب، ولو أنثت اللفظة، وقيل "النائبة" فإن دلالتها ستختلف، إذ تدلّ على المصيبة. ويمكن القول إن دلالة اللفظة على النيابة والمقام مكان الآخر دلالة ثابتة تتكرر في مختلف العصور، ولكن قد ترتقي دلالتها، وقد تهبط بحسب ما تضاف إليه.

- الوزير:

جاء في صبح الأعشى: الوزير: "المتحدث للملك في أمر مملكته"، وهو من ألقاب أرباب السيوف^(١). اختلف في اشتقاقه، فقيل إنه من "الوزر"، وهو الثقل؛ لأنه يحمل عن الملك أقاله، وقيل مشتق من "الوزر" وهو الملجأ، فالوزر في كلام العرب: الجبل الذي يلتجأ إليه، وكل ما التجأت إليه وتحصنت فهو وزر^(٢). والوزير صفة مشبهة على زنة (فعل). والجمع وزراء، وأوزار؛ كشریف وأشراف.

ورد اشتقاق اللفظ "وزر" بمعنى الجبل المنيع الذي يلتجأ إليه في قول عمرو بن كلثوم^(٣):

لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ لَهُ صَخْرَةً لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ لَهُ وَزَرَ

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٨.

(٢) اللسان، مادة (وزر).

(٣) شرح ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٤٥.

وورد بمعنى عدّة الحرب في قول الأعشى^(١):

وأعددت للحرب أوزارها — رِمَاحاً طِوالاً وخَيْلاً ذُكُورا

وأعددت للحرب أوزارها — رِمَاحاً طِوالاً وخَيْلاً ذُكُورا

وورد اللفظ صريحاً في شعر حسان بن ثابت في رثاء حمزة بن عبد المطلب^(٢):

فإنَّ أباك الخَيْرَ حمزة فاعلمي — وزير رسول الله خيرُ وزيرٍ

وورد اللفظ صريحاً في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: «واجعل لي وزيراً من أهلي هَارُونَ أَخِي، أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي»^(٣).

وورد اللفظ صريحاً في الحديث الشريف، فقد روي عن الرسول ﷺ قوله: "إذا أراد الله بعبد خيراً، وقال بالأمير خيراً، جعل له وزيراً صدق، إن ذكر أعانه، وإن نسي ذكره، وإذا أراد به غير ذلك، جعل له وزيراً سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه"^(٤).

فالملك يلجأ إليه برأيه ومعونته، فهو يُعينه على ما هو بصدده من أعباء السياسة^(٥).

وقيل مأخوذ من "الأزر" وهو الظهر؛ لأنَّ الملك يقوى بوزيره كقوة الظهر^(٦). ومن جعل اشتقاقها من "أزر"، فإنَّ الواو منه على هذا التقدير؛ تكون منقلبة عن همزة^(٧).

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص ٩٩.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٢٤٢.

(٣) سورة طه، ٢٩-٣١.

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم ٢٩٣٢.

(٥) تحفة الوزراء، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق حبيب علي الراوي، وابتناسام مرهون الصفار، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧، ص ٤٠.

(٦) الأحكام السلطانية، ص ٤٢.

(٧) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٨.

وهناك من يستبعد هذا الاشتقاق، قال أبو العباس المبرد "ليس بقياس؛ لأنه إذا قلَّ بَدَل
الهمزة من الواو في هذا الضرب من الحركات، فبَدَل الواو من الهمزة أبعد"^(١).
Wazar . ▶ >azar

ويميل العرب بين البداوة والحضارة إلى الانتقال من الهمزة إلى الواو، نحو
إِعاء، وعاء، فقد قرئ "إِعاء أخيه"^(٢)، بدلاً من وعاء" ويقولون "إِسادة" بدلاً من "وسادة"،
وربما تكون أزرَ من الباب نفسه^(٣). "والوزير حباً للملك الذي يحمل ثقله ويُعينه برأيه،
وقد استوزره، وحالته "الوزارة" و "الوزارة" والكسر أعلى"^(٤). فقد ترد الكلمة
بصيغتين، تشتمل إحداها على الضم، والأخرى على الفتح، أو إحداها على الكسر،
والأخرى على الفتح، مثل (وزارة، ووزارة)، وتفسر مثل هذه الظاهرة على أنها نوع
من الانسجام بين حركات هذه الكلمات، إذ دلّت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين
يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمّد إلى الانسجام بين حركات
الكلمات^(٥)، وربما الكسر أعلى في (وزارة) قياساً على فعالة كحرفة أو مهنة.

والأظهر في اشتقاقه كما يقول الثعالبي أنه من المساعدة والإعانة^(٦)، والمعنى في
الاشتقاق السابقة متقارب، إذ تعني القوة والمساعدة والإعانة.

وقيل في أصل اللفظ إنه فارسي معرّب، وأصله من الزور، وهو عندهم اسم
للشدة، والقوة، فاستعير وعرب، والمعنى فيه أنه يشدُّ من صاحب الدولة ويقويه ويعينه
على ما هو عليه^(٧). ولا أميل إلى هذا الرأي، إذ إنها عندئذ ستكون (زوير).

(١) اللسان، مادة (وزر).

(٢) سورة يوسف: (٧٦).

(٣) في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، (ب.ت)، (ب.ط)، ص ٦.

(٤) اللسان: مادة (وزر).

(٥) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط ٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٩٦.

(٦) تحفة الوزراء، ص ٤٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٠.

ويرجع المستشرقون لفظ الوزارة إلى الفارسية القديمة (البهلوية)؛ لما بين "وزير" و "فشير" البهلوية من الشبه، ومعناها القاضي أو الحكم، مع وضوح الفرق بين القضاء والوزارة دلاليًا، لا يأذن بموافقة المستشرقين على رأيهم، في اشتقاق هذا اللفظ من الأصل الفارسي القديم، يضاف إلى ذلك أن اللفظة وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى^(١): «واجعل لي وزيراً من أهلي»^(٢).

ويرجح أحمد أمين الأصل العربي للكلمة، فالمنصب فارسي، ولكن اللفظة عربية، وكان قبل ذلك يسمّى كاتباً أو مشيراً^(٣). ويرى كلوس كريز، أنه لا يعلم بالضبط إذا كانت وظيفة الوزير من أصل عربي، أو أن تكون ذات أصول فارسية، فالدراسات لم تنته إلى نتائج حاسمة في الأمر^(٤).

وأول من لقّب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة حفص بن سلمة الخلال وزير السفاح، وكانوا يطلقون عليه قبل ذلك كاتب^(٥).

وكانت الوزارة من أعلى المناصب الإدارية في الدولة الإسلامية، ويُختار لها من اتّصف بمجموعة أخلاق يجملها المأمون بقوله "إنني ألتمس لأُموري رجلاً هذبته الآداب وأحكمته التجارب، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللحظة"^(٦).

وارتقت دلالة اللفظ في العصر العباسي، إذ كانت وظيفة الوزير من أكثر الوظائف أهمية؛ نظراً لاتساع الدولة، وكانت مهمته إسداء النصيحة ومساعدة الخليفة^(٧).

(١) سورة طه، ٢٩.

(٢) النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، صبحي الصالح، ط ١، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٩٤.

(٣) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٠، ص ١٦٥.

(٤) معجم العالم الإسلامي، ص ٧٠٥.

(٥) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٩.

(٦) الأحكام السلطانية، ص ٤٠.

(٧) معجم العالم الإسلامي، ص ٧٠٤، ٧٠٥.

وفي الدولة الفاطمية، كانت وظيفة الوزير من أرفع الوظائف وأعلاها رتبة، فكانت تارة في أرباب السيوف، وأخرى في أرباب الأقلام، فتكون وزارة تفويض، ويعبّر عنها بالوزارة، وأخرى تتحط فتكون دون ذلك ويعبّر عنها بالوساطة^(١).

وفي عهد الأيوبيين، اتخذ السلاطين في مصر وزراء، واستحدثوا نيابة السلطنة، وأصبح النائب يتمتع بكل ما يتمتع به الوزير من قبل، إلا أن سلطته لم تضعف إلى حد كبير وفق ما قاله القلقشندي "إنها أجل الوظائف وأرفعها رتبة في الحقيقة"^(٢).

أما في عصر المماليك، فلم يكن للوزارة شأن كبير، وهذا ما أشار إليه القلقشندي بقوله: "أما الوزارة في زماننا، فقد تفاصرت عن ذلك كله حتى لم يبقَ منها إلا الاسم دون الرسم"^(٣).

ويرادف لفظ الوزير في عصر المماليك لفظ "الصاحب"، وهو مختص بأرباب الأقلام، وأصله في اللغة، الصديق، وأول من لقّب به "الصاحب بن عباد" وزير البيهقيين، ولقّب به لمصاحبه ابن العميد، فكان يطلق عليه (صاحب ابن العميد)، وغلب عليه حتى استعمل فيه الألف واللام، وصار لقباً على من ولي الوزارة بعده^(٤)، والصاحبي نسبه إليه للمبالغة.

ومن ألقابهم أيضاً "المشير"، وهو الناصح الذي يؤخذ برأيه. وكان يستعمل لقباً في حالة إضافة إلى ياء النسب "المشيري"، وكان من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء من

(١) صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٧، ١٨.

رتبة مقدّمي الألوّف^(١). وتشير دلالة اللقب على أصالة الرأي والحكمة، وكان يضاف إلى ألقاب أخرى مثل: مشير الدولة، مشير السلطنة، مشير الملوك والسلّاطين^(٢).

ومن ألقاب الوزراء أيضاً "الناظر"، وهي وظيفة، أوجدها السلطان الناصر محمد ابن قلاوون بعد إلغائه الوزارة^(٣). والناظر الذي ينظر في الأموال وينفّذ تصرفاتها، ويُرجع إليه حسابها، وهو مشتقّ إمّا من النظر الذي هو رأي العين؛ لأنّه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإمّا من النظر بمعنى "الفكر"؛ لأنّه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك^(٤).

والناظر اسم فاعل من نظر، وهو المتولّي إدارة أمر ما. ودلالة (الناظر) تختلف باختلاف ما يضاف إليها "كناظر الجيش" المتحدّث في أمر الجيش، أو "ناظر الخاص"، وهو الذي ينظر في خاص أموال السلطان^(٥)، و"ناظر الأحباس"، وهي وظيفة يصفها القلقشندي بأنّها عالية المقدار، وصاحبها يتحدّث في رزق الجوامع والمساجد والمدارس^(٦)، وتعادل وزارة الأوقاف في عصرنا الحاضر^(٧)، ويقال: ناظر المدرسة، وناظر الضيعة، والجمع نظار^(٨).

وقد أطلق لقب (الناظر) على الوزراء في إمارة شرق الأردن، ففي وزارة حسن خالد أبو الهدى الأولى عام ١٩٢٣ كان يقال: ناظر المالية، وناظر المعارف، وناظر

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٣٩، ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٦٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٧) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٤١.

(٨) المعجم الوسيط، مادة (نظر).

العدلية^(١). وكان قبل ذلك يطلق عليه لقب "المشاور"^(٢)، ثم ظهر لقب الوزير، وأُلغيت الألقاب السابقة، وكان ذلك في وزارة (أبو الهدى) الثالثة عام ١٢٩٩هـ^(٣).

ويلاحظ ممّا تقدّم ورود عدّة ألفاظ لمصطلح "الوزير"، مع أنّ المعنى أو المدلول واحد، فورد: "الناظر، والمشير، والصاحب"، ويطلق على مثل هذه الظاهرة (الترادف). أمّا في العصر العثماني، فقد كان لمنصب (الوزير) أهميته وخطورته، إذ كان يمثّل المستشار الأول للسلطان، وكان يسمّى "البرقان" pervan، أو "بيرفانجي pervaneci"، وهو مصطلح فارسي، ومدلوله قائد أو مفتّش، أو صاحب براءة سلطانية، وكانت سلطاته المخوّلة له واسعة^(٤).

ومع اتّساع الدولة زادت أهمية مركز الوزير واختصاصاته، فأنشئ منصب "الوزير الأول"، حيث أبطل استخدام لفظة "بيرفان" واستبدلت الدولة مصطلحاً جديداً "أولووزير"؛ أي الوزير الأول، أو "وزير أعظم"، أي الوزير الأعظم، فعادت الدولة العثمانية إلى استخدام لفظة الوزير، ثم أصبح لقبه في عهد سلاطين الفترة الثانية "الصدر الأعظم"، ومعناه "أعظم كبار الموظفين"^(٥).

(١) الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية ١٩٢٣-١٩٩٣، جمع أحمد القضاة، تحقيق عيسى أبو سليم، منشورات دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٩٣، ص ١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، عبد العزيز الشناوي، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٥٩.

والوزير الأول يماثل الآن منصب رئيس الوزراء، وتستخدم حالياً في: تونس، والجزائر. والوزير في العصر الحالي، يعدُّ رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون الدولة، مختصاً بجانب منها؛ كوزير العدل، ووزير المالية^(١). ويُعرف (الوزير) في تونس الآن بكاتب الدولة، ويرى إبراهيم السامرائي أنَّهم عدلوا عن الوزير، وهو كلمة واحدة إلى هذا التركيب الإضافي تقليداً وترجمة للكلمة الفرنسية "secretaired, Etat"، ولم تكن لفظة "الوزارة" في جدول مناصبهم الرسمية، فيقال: كتابة الدولة للتربية القومية، وكتابة الدولة للفلاحة^(٢).

ولا تختلف مهمة الوزير في الوقت الحاضر في البلدان العربية والإسلامية عمّا هي عليه في معظم البلدان الأوروبية أو الغربية بعامة^(٣).

- وَلِيُّ الْعَهْد:

جاء في صبح الأعشى "ولي العهد: أن يعهد الملك بالملك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب"^(٤). وقد جرت عهود من الملوك لأبنائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الكثير من العلماء وأهل الحل والعقد الذين يمشون الحكم ولم ينكروه، وذلك منهم دليل الجواز^(٥).

وولي العهد لفظ مركّب من مضاف "ولي" ومضاف إليه "العهد"، وكلاهما ورد في الشعر الجاهلي، قال أميّة بن أبي الصلت^(٦):

(١) معجم الوسيط، مادة (وَزَرَ).

(٢) التطوّر اللغوي التاريخي، ص ٢١٤، ٢١٥.

(٣) معجم العالم الإسلامي، ص ٧٠٥.

(٤) صبح الأعشى، ج ١٠، ص ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٥٨.

(٦) ديوان أميّة بن أبي الصلت، ص ٥٢٨.

وَلِيٌّ لَهُ مِنْ دُونِ كُلِّ وَلايَةٍ إِذَا شَاءَ لَمْ يُمَسُوا جَمِيعاً مَوَالِيَا

فالموالي هنا بمعنى الورثة. وورد اشتقاق اللفظ "المولى" بمعنى الصديق والقريب في قول الأعشى^(١):

وَإِنِّي لَتَرَأَاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ أَرَى قَذَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أُسْتَثِيرُهَا

وورد اللفظ "الولي" في القرآن الكريم بمعنى الصديق، قال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢)، وجاء اللفظ بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، وأولياء الله الذين يوالونه بالطاعة.

وفي صحيح البخاري في الحديث عن الصدقة، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: "أنا وليُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبضها أبو بكر فعمل فيها"^(٤).

وورد لفظ العهد في الشعر الجاهلي بمعنى الميثاق في قول الأعشى يمدح شريح ابن حصن^(٥):

فَكَانَ أَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَمْنَعُهُمْ جَاراً أَبُوكَ بَعْرِفَ غَيْرِ انْكَارِ

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بمعنى الوصية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾^(٦)، وجاء بمعنى الميثاق في قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾^(٧).

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣٧٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ٨.

(٣) سورة يونس، الآية ٦٢.

(٤) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٤.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٧٩.

(٦) سورة يس، الآية ٦٠.

(٧) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

وجاء في الحديث الشريف في حديث عاصم بن ثابت مع جماعة من بني لحيان
"فقالوا لهم انزلوا وأعطونا ما بأيديكم ولكم العهد والميثاق" ^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم
"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة" ^(٢).

فوردت بمعنى الصلة والرابط.

وولي: فعيل بمعنى فاعل، من قولهم ولي فلان الشيء ويليه فهو والٍ، ووليّ،
وأصله من الولي بسكون اللام وفتحها، الذي هو القرب، ومنه يقال للمحبّ ولي؛ لأنّه
قريبٌ منه بالمحبّة، وللوالى؛ لأنّه يلي القوم بالتدبير والأمر ^(٣).

وولي: من وليّ waliyy ← wa/li/ya ، وعندما يُبنى منها (فعيل) تكون
"wa/liyyi (وليّ)، إذ إنّ الياء الأولى (ياء) فعيل، والثانية لام الكلمة، ويأتي صوت
ثالث مماثل وهو الكسرة التي تلي آخر حرف صحيح (اللام)، فلمّا توالى هذه
الأصوات الثلاثة المتماثلة ثقلت على اللسان فجرى إدغام اليائين فنقص عدد الأصوات
المتماثلة فصارت (waliyy) وليّ بمعنى والٍ.

والوليّ من الألفاظ المشتركة التي تقع على عدّة معانٍ: فهو اسم من أسماء الله
تعالى وهو الناصر المتولي لأمر الخلق والعالم، والولي الصديق والنصير والمحبة
والقريب، والولي: ولي اليتيم الذي يلي أمره، وولي المرأة، الذي يلي أمرها، والوليّ هو
المطر يأتي بعد الوسمي، سمي بذلك لأنّه يأتي بعد الوسمي، والجمع "أولية" سمي وليا

(١) صحيح بخاري، ج ٣، الحديث رقم ١١٠٨.

(٢) صحيح ابن حبان، ج ٤، الحديث رقم ٣٠٥.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الهتائوي، تحقيق علي دحروج، ط ١، مكتبة لبنان
ناشرون، ١٩٩٦، ص ١٨٠٦-١٨٠٧.

لأنه يلي الوسمي، أي يقرب منه، ويجيء بعده، وكذلك "الولي" بالتسكين على وزن فَعَلَ وفَعِيل^(١).

والعهد من الألفاظ المشتركة التي تقع على عدة معانٍ. فكل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد. والعهد: الوصية «ألم أعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ»^(٢)، يعني الوصية، ومنها يُشتقّ العهد الذي يُكتب للولاية. والعهد الموثّق واليمين، وقيل: ولي العهد: "لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة"^(٣).

والعهد الوفاء، والأمان، والحفاظ. ورعاية الحرمة. والعهد: المنزل المعهود به الشيء، المنزل الذي لا يزال القوم إذا ابتعدوا عنه رجعوا إليه^(٤)، والعهد: "المطر الذي يأتي بعد الوسمي، وهو الذي يسمّيه الناس الولي، كأن المطر وسم الأرض أولاً وتعهدا ثانياً، احتفظ بها فأتاها وأقبل عليها"^(٥).

والعهد: الكتاب: ومنه العهد القديم، والعهد الجديد^(٦).

ويلاحظ ممّا سبق ارتباط الكلمتين "وليّ، العهد" بالمطر، يقول وليّت الأرض، مطّرت بالوليّ، ويقول عهد المكان، أصابه مطر العهد فهو معهود، والعهد مطر بعد مطر^(٧).

(١) اللسان، مادة (ولي).

(٢) سورة يس: (٦٠).

(٣) اللسان، مادة (عهد).

(٤) المصدر نفسه، مادة (عهد).

(٥) المصدر نفسه، مادة (عهد).

(٦) المصدر نفسه، مادة (عهد).

(٧) المعجم الوسيط، مادة (عهد).

وهو ارتباط مادي، فالمطر: وَلِيّ وعهد، مجازاً أو استعارة للتفاؤل، إذ يفترض أن المطر سيلقي الأرض، وكأن الأرض متعاهدة مع المطر، فهو الذي يليها لتزدهر بالحياة.

ولمّا أُضيفت الكلمتان (ولي، العهد) عُرِّفت الأولى بالثانية، فالمراد من كلمة ولي (والي) لوجود العهد، وهو بمعنى "الميثاق"، والمعنى والي الميثاق. فانقلبت دلالة الكلمتين من دلالة مادية إلى دلالة معنوية، تعني تَمَلَّكُ أمراً ما والقيام به.

وتبقى دلالة (التركيب) تحمل التفاؤل والأمل لتساوى مع ما يُوحى به من تشاؤم، فولي العهد يأتي بعد موت الوالي أو الخليفة الحالي؛ الذي تكون النفوس قد ارتبطت به ارتباطاً شديداً، ومجيء ولي العهد بعده يشعر باستمرارية العهد المألوف "كالمطر يلي المطر" ^(١).

(ولي العهد) تركيب لم يكن معروفاً في بدايات الدولة الإسلامية زمن النبي ﷺ، ولا عند الخلفاء الراشدين، فهو من الألفاظ المولدة، ويقصد بالمولد "اللفظ العربي الأصيل الذي نقلت دلالاته إلى معنى لم يعرفه العرب القدماء" ^(٢).

ويرى اللغوي الفرنسي (دارمستتر) أن الألفاظ الجديدة تولد عن طريقين: وضع كلمات جديدة، أو عن طريق خلق معانٍ جديدةٍ لكلمات موجودة ^(٣)، وهذا ما حصل مع لفظة وَلِيّ مضافة إلى العهد، فالكلمتان موجودتان بالأصل، وكل كلمة منفصلة تحمل دلالة معينة، وبإضافة الكلمتين معاً، ظهر معنى جديد لم يكن معروفاً من قبل.

(١) المعجم الوسيط، مادة (عهد).

(٢) المولد، ص ٢٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٨٢.

وكانت بدايات ظهور المصطلح في العصر الأموي، إذ إنَّ أولَ من استخدمه معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ)، وكان المغيرة بن شعبة أول من أشار عليه بولاية ابنه يزيد للعهد سنة ٤٩هـ. فعندما تقلّد معاوية الحكم بذل جهوداً سياسية لتحويل السلطة إلى طابع وراثي بتعيين الخليفة لولي عهد^(١).

ويرى حسين عطوان أنَّ دعوة معاوية لاستخلاف ابنه قامت على أربعة أسس: الأول عاطفي شخصي؛ إذ كان يريد لابنه أن يرث الخلافة عنه، والثاني عصبي أموي فكان يهدف إلى أن تستقر الخلافة في قومه من بني أمية، والثالث عربي إسلامي فكان يعتقد أنَّ ابنه جمع صفات الرئاسة القبلية من شرف النسب ورحابة الصدر، والخلق الطيب، والرابع سياسي وظيفي، فإنه كان يرى أنه ينبغي للخليفة أن يفكر في ولاية أمر المسلمين من بعده، وأن يحرص على وحدة جماعتهم وائتلاف كلمتهم^(٢).

وقد توسّع الأمويون في استخدام المصطلح، وأعطيت ولاية العهد لاثنتين، يلي أحدهما الآخر، إذ يجوز أن تعهد إلى اثنتين فأكثر على الترتيب، فقد عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ثم بعده إلى يزيد. ورتبها الرشيد في العصر العباسي في ثلاثة من أبنائه "الأمين، والمأمون، والمؤتمن"، وقد أدّى ذلك إلى الشقاق والمنافسة بين الأفراد^(٣).

وأصبح توارث الملك أصلاً متعارفاً عند الناس في الدولة الأموية، وحافظ العباسيون على تعيين ولي العهد على أسس وقواعد وراثية^(٤). وورد المركّب الإضافي ولي العهد عند شعراء العصر، قال جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك^(٥):

(١) تاريخ الطبري، المجلد الثالث، ص ٢٦٠ وما بعدها.

(٢) نظام ولاية العهد ووراثية الخلافة في العصر الأموي، حسين عطوان، ط ١، دار الجيل، بيروت: ٩-١١.

(٣) صبح الأعشى، ج ٩، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٤) مفهوم الملك عند المغرب، ص ١٣٢.

(٥) شرح ديوان جرير، شرحه وقّم له مهدي محمد ناصر الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٦.

إنَّ الإمامَ الذي تُرَجَى نوافِلُهُ بعد الإمام؛ وليُّ العَهْدِ أَيُّوبُ

وفي عصر المماليك، حَرَصَ عدد من السلاطين أمثال (الظاهر بيبرس، وقلالون) على تعيين ولاية عهودهما في حياتهما، فالظاهر بيبرس جعل ابنه (بركة) ولياً لعهد، وقلالون جعل ابنه (عليا) ولياً لعهد، وملكاً إلى جانبه^(١). وهذا نفسه ما حدث أيام الأمويين؛ لأنَّ معاوية عيَّن ابنه ولياً للعهد في حياته.

ويعرض القلقشندي نماذج من المكاتبة إلى ولاية العهد بالخلافة وكيف يكون التصدير في المكاتبة إلى ولي العهد^(٢).

ولا تزال اللفظة مستخدمة، في الوقت الحاضر، وتحمل الدلالة نفسها التي كانت سائدة في عصور سابقة، فَوَلِيَّ العَهْدِ هو وارث الملك، ويكون الابن أو الأخ. ويلاحظ في هذه اللفظة محافظتها على دلالتها، فلم تتأثر بالرقى أو الانحطاط الداللي، وتستخدم في الدول التي تتبع النظام الملكي والسلطاني والأميري.

يقدم ما سبق من مادة صورة واضحة عن ألفاظ القيادة والحكم، إذ تبين أن ثمة ألفاظاً أصابها رُقْيٌ في الدلالة من مثل: الملك، والسامي، وأصاب بعضها انحطاط في الدلالة في العصر الحديث، ومن ذلك: لفظ الخليفة، والناظر، وهناك ألفاظٌ خصّصت لدلالاتها، كما في البريدي، والقنصل، وألفاظ أخرى استمرت دلالتها مع توسّع بيّن في استعمالها، كما يبدو ذلك في لفظي الرئيس، والنائب، وألفاظ استقرّت دلالتها، كما في لفظي ولي العهد، والوزير.

(١) صبح الأعشى، ج ١٠، ص ١٦٣، ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٥٦، ٤٩٨، ج ٧، ص ١٣٤، ١٣٥.

الفصل الثاني

الألقاب التبجيلية

ظهرت في صبح الأعشى مجموعة من الألفاظ التي استعملت ألقاباً تعظيمية وتفخيمية، التي امتدّت جذورها إلى عصور سابقة من الجاهلية حتى العصر الحاضر، لكنّها بدت أكثر ظهوراً في عصر القلقشندي والعصر الحاضر، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

الحَضْرَة:

جاء في صبح الأعشى: "الحضرة يُراد بها صاحب اللقب"، وهي من الألقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء، وكان يُقال فيها الحَضْرَة العالية، والحَضْرَة السّامية، وتستعمل الآن في المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك. ويُقال فيها "الحضرة الشريفة العالية"، و"الحضرة الكريمة العالية"، و"الحضرة العلية بحسب ما تقتضيه الحال"^(١).

وورد اللفظ وما اشتقّ منه في الشعر الجاهلي بمعنى الحضور، أنشد الليث^(٢):

فشلت يداه يومَ يَحْمِلُ رايةً إلى نهشلٍ والقومُ حضرة نهشــلٍ

وقال لبّيد^(٣):

فالواديان فكلُّ مَغْنَى مِنْهُمُ وعلى المياهِ مَحَاضِرٌ وخِيَامُ

(١) صبح الأعشى، ج ٥/٤٩٨.

(٢) نسب البيت إلى المتنخل الهذلي في فهارس لسان العرب (الشعر)، مجلد ٦، تصنيف خليل عمّاية، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٧٥، ولم أعثّر عليه في ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

(٣) ديوان لبّيد، ص ٢٨٨.

وَمَحَاضِرُ جَمْعِ مَحْضِرٍ، وَيَطْلُقُ عَلَى نَزْلِ الْمُقِيمِينَ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَمِنْ اشْتِقَاقِهِ الْحَاضِرُ
بِمَعْنَى سَاكِنِ الْحَضَرِ فِي قَوْلِ عُبَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ^(١):

إِنَّ أَمَامَكَ يَوْمًا أَنْتَ مُذْرِكُهُ لَا حَاضِرٌ مُقَلَّتْ مِنْهُ وَلَا بَادِي

وورد اللفظ في كثيرٍ من الأحاديث الشريفة، بمعنى الحضور والوقت في قول عائشة "دَفَّتْ دَافَّةً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، حَضْرَةُ الْأَضْحَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّوا وَادْخَرُوا ثَلَاثًا"^(٢)، وورد بمعنى الحضور والمشاهدة في حديث الصباح "فَإِنَّ الصَّلَاةَ مُحْضُورَةٌ مُشْهُودَةٌ"^(٣). وقال عليه السلام: "قُولُوا مَا بِحَضْرَتِكُمْ؛ أَيُّ مَا هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَكُمْ وَلَا تَتَكَلَّمُوا"^(٤).

وَالْحَضْرَةُ اسْمُ مَرَّةٍ عَلَى زِنَةِ (فَعْلَةٍ) مِنْ حَضَرَ حُضُورًا، وَالْجَمْعُ حَضَرَاتٌ. وَيَبْدُو أَنَّ الْحَضْرَةَ قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى اسْمِ مَفْعُولٍ؛ أَيُّ الْمَكَانِ الَّذِي يَحْضُرُهُ الْآخَرُونَ، أَوْ أَنَّهَا مَصْدَرٌ وَضَعُ مَوْضِعِ اسْمِ الْمَكَانِ، أَوْ بِمَعْنَى الْمَقَامِ الْعَالِيِّ، أَوْ الْحَضْرَةُ الْعَلِيَّةُ، ثُمَّ حُذِفَتِ الصِّفَةُ الْعَلِيَّةُ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَبَقِيَ الْمَوْصُوفُ الْحَضْرَةُ دَالًّا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ حَضْرَةَ الْقَائِدِ السَّامِيِّ أَوْ الْعَظِيمِ، أَوْ أَنَّهَا صِفَةُ الرَّجُلِ الْحَضْرَةِ؛ أُضِيفَتِ الصِّفَةُ إِلَى مَوْصُوفِهَا.

وَاشْتَقَّتْ الْحَضْرَةُ مِنْ "حَضَرَ" الَّتِي تَأْتِي عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: الْحُضُورُ نَقِيضُ الْمَغِيبِ، وَبِحَضْرَةِ فَلَانٍ: بِمَشْهَدٍ مِنْهُ، وَفَلَانٍ حَسَنَ الْمُحَضَّرِ الَّذِي يَذْكُرُ الْغَائِبَ بِخَيْرٍ، وَالْحَضَرَ وَالْحَضْرَةَ وَالْحَاضِرَةَ خِلَافَ الْبَادِيَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَهَا حَضَرُوا الْأُمُصْلَرِ

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، ط١، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٥٧، ص ٤٩.

(٢) سنن النسائي، ج ٧/٢٣٥.

(٣) سنن النسائي، الحافظ أبو عبد الله أحمد بن دينار النسائي (ت ٣٠٣هـ)، ج ١، كتاب المواقيت، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٢٨٠.

(٤) النهاية، ٣٩٩/١١.

ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. والحاضر: الحي العظيم، والحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم، والحاضر: المقيم على الماء، لا يرحل عنه. وحُضِرَ المريض إذا نزل به الموت^(١)، ويقال في الحضرة: حَضَرَة، وحِضْرَة، وحُضْرَة^(٢)، والمعاني في الاشتقاقات السابقة متقاربة، إذ تعني القدوم إلى مكان، أو المشاهدة في مكان، أو القرب من المكان.

وعند دوزي: الحضرة دار السلطان، وهو لقب تشريف^(٣)، ومن قولهم: حضرة الرجل قربه وفناؤه، اشتقت الحضرة لقباً فخرياً، وهو أحد الألقاب المكانية، إذ استعير المكان للتعبير عن الشخص، وأول ما بدأ للكناية عن الخليفة كما يذكر القلقشندي، والسبب في استعماله، بأنه لما استولى بنو بويه على الحكم وغلبوا الخلفاء، واستبدوا عليهم، واحتجبوا وفوضوا إلى الوزراء الكتابة عنهم، كانوا إذا أرادوا التعبير عن الخليفة في مكاتباتهم يشيرون إلى مكانه بدلاً من اسمه^(٤).

والحضرة من الألقاب التي استعملت في الدولة العباسية كغيرها من الألقاب المكانية. وكانت تعني دار الخلافة^(٥)، واتخذها الفاطميون للتعبير عن الخليفة، والذي يؤيد ذلك ما أورده ابن تغري بردي في كتاب كتبه يعقوب بن كلس عن الخليفة العزيز

(١) اللسان، مادة (حضر).

(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، شرحه وكتب هوامشه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٣٨٢.

(٣) دوزي، تكملة المعاجم العربية، دينهارت دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨، مادة (حضر)، ج٣، ص٢٢٥.

(٤) صبح الأعشى، ج٥/٤٩١.

(٥) التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، إبراهيم السامرائي، دار الفرقان، ط١، ١٩٨٦، ص٤٧.

الفاطمي إلى عضد الدولة، وقد أجاب عضد الدولة بكتاب خاطب الخليفة الفاطمي بالحضرة الشريفة^(١).

واستعمل اللقب (حَضْرَة) مجرداً للإشارة إلى بني بويه، إذ أطلق على حَضْرَة الأمير أبي شجاع عضد الدولة في نصّ تذكاري سنة ٣٤٤هـ، ثمّ استعمله السلاجقة، وأطلق على حَضْرَة الأمير ألب أرسلان في نقش سنة ٤٥٩هـ^(٢).

وأما في العصر الأيوبي، فقد توسّعوا في استخدام لقب الحَضْرَة فأضيف إلى مجالس متنوّعة لأشخاصٍ دون الوزراء في المرتبة، فجعل مجلس الحضرة دون المجلس السامي، وذكر ابن شيث أعلاها المجلس السامي، ثمّ مجلس الحضرة، ثمّ الحضرة، ثمّ حضرة مولاي^(٣).

واستعمل اللقب في عصر المماليك في حالات متعدّدة، إذ أطلق على لقب ملوك الدول الإسلامية في المغرب والأندلس^(٤)، وبلاد إفريقية، فكانت الحضرة العليّة السّنيّة من ألقاب صاحب تونس^(٥).

واستعمل اللقب لملوك النصارى، ورثب القلقشندي استعمالته بالنسبة لملوك النصارى، وذكر أنّه استعمل إمّا بأداة التعريف، أو أن يقتصر على لفظ حضرة مع الإضافة، وقسم الحالة الأولى إلى خمس درجات، هي: الحضرة السامية من ألقاب البطريك في الديار المصرية، والحضرة العالية من ألقاب ملك الحبشة، والحضرة

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغرى بردي، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، م ٢، ج ٢، ص ١٣.

(٢) الألقاب الإسلامية، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) معالم الكتابة، ص ٥٩.

(٤) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٥٣٤.

(٥) نفسه، ج ٦، ص ١٢٩.

العلية من ألقاب ملك الكَرَج، والحضرة المكرّمة من ألقاب صاحب قبرص، والحضرة الموقّرة من ألقاب صاحب الأُدْفُونش، وتُستعمل لهم حسب أهميتهم^(١).

أمّا النوع الثاني، فهو ما يصدر بلفظ حضرة مع الإضافة، وصورتها ما ورد في ألقاب صاحب القسطنطينية، وألقاب ملك الكَرَج "حضرة الملك"، وألقاب صاحب البندقية "حضرة الثوك الجليل"^(٢).

واستعملت الحضرة لقباً من ألقاب زعماء أهل الذمّة، إذ إنّ أعلى ألقابهم الحضرة، ثمّ حضرة الشيخ، ثمّ الشيخ مجرداً عن حضرة^(٣). ويلاحظ ممّا سبق أنّ استخدام اللفظ ميّز بين الحضرة المعرفة بأل التعريف، والحضرة المعرفة بالإضافة، إذ المعرفة بالإضافة دلالتها أعلى من المعروف بأل، فقد جاء في حاشية الصبّان أنّ المضاف في رتبة ما أضيف إليه مطلقاً، والأكثر أنّ المضاف إلى المضمّر في رتبة العلم، وترتيب المعارف: الضمير، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، ثمّ المحلّى بأل^(٤).

ووردت اللفظة مضافة إلى السلطان وإلى الملك وإلى القدس، وغيرها من الألفاظ في عصر المماليك، قال صفي الدين الحلّي^(٥):

فَيَا حَضْرَةَ الْقُدْسِ الَّتِي مُدَّ شَهْدَتُهَا تَيَقَّنَ قَلْبِي بِالْوُصُولِ إِلَى رَبِّي

وقال أيضاً^(٦):

رَضِيْتُ بِبَذْلِ النَّفْسِ حِينَ تَبَوَّأْتُ مِنْ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ أَشْرَفَ مَجْلِسِ

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٧٣-١٧٦.

(٢) نفسه، ج ٦، ص ١٧٧.

(٣) نفسه، ج ٩، ص ٢٦٥.

(٤) حاشية محمد بن علي الصبّان على شرح علي بن محمد الأشموني، تحقيق مصطفى حسين أحمد، ج ١،

دار الفكر، ص ١١٨، ١١٩.

(٥) ديوان صفي الدين الحلّي، دار صادر، بيروت، ص ٦٧٥.

(٦) نفسه، ص ١٨٠.

والحاضرة من الألفاظ المؤنثة تأنيثاً لفظياً غير حقيقي، يذكر القلقشندي أن تأنيث اللقب الأصل الذي يتفرّع عنه الألقاب الفروع له حالتان: أن يكون اللقب في الأصل لمؤنث حقيقي مثل الدار، والجهة؛ إذ كنى بها عن المرأة في الكتابة، فيقال: الدار الكريمة، الجهة المصونة^(١).

والنوع الثاني: أن يكون اللقب في الأصل لمؤنث غير حقيقي كالحاضرة، فهي تطلق على الذكور، فتأتي الألقاب المؤنثة المفرّعة عنها مؤنثة، بناءً على أن الصفة تتبع الموصوف في تذكيره وتأنيثه^(٢). ويبدو أن الحاضرة حالياً تطلق أيضاً على الإناث، فيقال حاضرة السيدة، وبهذا تكون اللفظة لمؤنث حقيقي.

ومن نعوت الحاضرة أن يقال "الحاضرة الشريفة، العالية"، وربما أتى للحاضرة بلقبين فأكثر طلباً للتعظيم، ثم يُعَدل إلى الألقاب المذكورة، فيقال: "الحاضرة العالية المكرّمة"، ثم يُقال "حاضرة الملك الجليل"^(٣). وواضح أن الجليل لقب للملك وليست للحاضرة.

وقد استخدم مصطلح الحاضرة عند الصوفية وتعني المثلّول في حاضرة الله، ويقابلها كلمة "غيبية"^(٤). والحاضرة عند الصوفية، هي الحضرات الخمس الإلهية: وهي حاضرة الغيب المطلق، والحاضرة العلمية، وحاضرة الغيب المضاف، والشهادة المطلقة والجامعة^(٥).

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٧٧.

(٢) نفسه، ج ٦، ص ٧٧.

(٣) نفسه، ج ٦، ص ٩٥.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (حاضرة).

(٥) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة،

١٩٩١، ص ٩٩-١٠٠.

ويطلق على الحفلات الدينية التي يقيمها الصوفيّة كل جمعة، أو من أيام الجمعّات الحضرات^(١)، والحضرة العمانيّة عند الصوفية هي أعلى درجات التجلّي الإلهي وحضرات الحسّ؛ هي التجلّيات الإلهية التي لا يدركها المرء إلاّ بحواسّه الباطنة^(٢). ويبدو ثمة علاقة بين دلالة اللقب عند الصوفية، ودلالته مصطلحاً سياسياً، فهو مصطلحاً سياسياً يفيد التعظيم والتفخيم لصاحب اللقب، فتدلّ الحضرة على الحضور المتواصل للملك أو السلطان، سواء أكان حاضراً أم غائباً. والحضرة في مصطلح الصوفية تفيد التعظيم؛ لأنهم في حفلاتهم الدينية ويذكرون الخالق ويعظّمونه، يشعرون وكأنهم في حضرته.

وأما الحضرة في العصر الحالي؛ فهي من الألقاب التي تُضاف عند مخاطبة الملوك والسلّاطين والأمراء، فيقال: حضرة صاحب الجلالة، حضرة السلطان، وتطلق في مخاطبة عامّة الناس، فيقال: حضرة السيد، فيلاحظ التوسّع الدلالي في استعمالها، فلم تعد تقتصر في المخاطبة على الملوك ونحوهم، وإنّما أصبح يخاطب بها عامّة الناس، ويشاع عند بعض العوام فلان صاحب حضرة، أي صاحب هيبة ومكانة.

- خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ:

جاء في صبح الأعشى "خادم الحرمين الشريفين من الألقاب السلطانية، والمُراد حرم مكة المشرفة والمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"^(٣).

واللقب مركّب من ثلاث كلمات، الأصل منها كلمة "خادم"، ثمّ أضيف إليها لفظ الحرمين، ووصفا بالشريفين.

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (حضرة).

(٢) معجم دوزي، مادة (حضرة)، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٣) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٤٦.

والخادم اسم فاعل، على زينة (فاعل)، من خَدَمَ خِدْمَةً، والجمعُ خُدَّامٌ وخَدَمٌ وخِدَّامٌ، وهي خادمٌ وخادِمةٌ^(١). ويبدو أن اختيار (خَادِمٍ) دون غيرها من الألفاظ لدلالاتها على التواضع، وشموليتها على معانٍ متعدّدة، ورد اشتقاقها في الشعر الجاهلي، قال الأعشى^(٢):

وَتُلْفَى حَصَانٌ تَخْدُمُ ابْنَةَ عَمِّهَا كَمَا كَانَ يُلْفَى النَّاصِفَاتُ الْخَوَادِمُ

فورد لفظ الخَوَادِمُ جمعاً لكلمة خَادِمٍ وهي السيّدة التي تقوم بالخدمة.

ولم ترد اللفظة، واشتقاقاتها في القرآن الكريم، ولكنها وردت في الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "الخادم راعٍ في مال سيّده ومسؤول عن رعيته"^(٣)، وحديث أم سليم "قالت أم سليم يا رسول الله إن لي خُوَيْصَةً، والخُوَيْصَةُ تصغير خاصة، قال ما هي: قالت: خادمك أنس فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا ودعا لي"^(٤). ومن ذلك حديث فاطمة وعلي رضي الله عنهما: "أسألي أباك خادماً يقيك حوائجاً ما أنت فيه"^(٥).

والخادم واحد الخدم غلاماً كان أو جارية يستوي فيها المذكر والمؤنث، وهي عربية فصيحة^(٦)، وخَدَمَهُ يَخْدُمُهُ وَيَخْدِمُهُ، وخَدَمَ اسم للجمع، ومثله عازب وعزّاب، والخدمة المَهْنَةُ والمِهْنَةُ، يقال للآمة إنها لحسنة المِهْنَةُ والمِهْنَةُ والمَاهِنُ، العبد^(٧).

(١) اللسان: مادة (خدم).

(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص ٨١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، ج ١، ص ٢١٥.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصوم، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٥) النهاية، ج ٢، ص ١٥.

(٦) اللسان، مادة (خدم).

(٧) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيّدة (ت ٤٥٨هـ)، الجزء الأول، السفر

الثالث، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ١٤٠-١٤١.

وفي معجم مقاييس اللغة^(١): الخاء والذال والميم أصل واحد متقارب، وهو إطاقنة الشيء بالشيء، قال الخليل: "ومن هذا الباب (الخدمَة) اشتقَّ الخادم لأنَّ الخادم يطوف بمخدومه"^(٢). فأحاطة الخدمة بالساق أو الحلقة المستديرة المُكممة كإحاطة الخادم بمخدومه.

وفي دائرة المعارف الإسلامية: الخادم كلمة عربية تستعمل في التركية بمعنى فرعي وهو "الخصي"، وتطلق على المذكر والمؤنث^(٣).

ويرد لقب الخادم في المكاتبات، يعبر به صاحب الكتاب عن نفسه، وهو بهذا يبيِّن الصلة بين المكتوب عنه والمكتوب إليه، ويسمى في مصطلح الكتاب الترجمة^(٤).

وغلب استعمال "الخادم" في الترجمة إذا كانت المكاتبة مرسلة عن أحد الملوك إلى ديوان الخلافة، ويبيِّن ابن شيث أنَّ الترجمة إلى الديوان الشريف كانت من ذوي الولايات "العبد" ومن الملوك "الخادم"^(٥).

ودلت مكاتبات القاضي الفاضل على أنه كان يترجم بالخادم عن أصحاب الولايات إلى السلطان، كما تشير إلى ذلك مكاتبات صلاح الدين إلى الصالح إسماعيل، حيث ترجم عن نفسه "بالخادم"^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة خدم.

(٢) معجم العين، مادة خدم.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة خادم.

(٤) الألقاب الإسلامية، ص ٢٦٦.

(٥) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبد الرحمن بن شيث، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٥٦.

(٦) الألقاب الإسلامية، ص ٢٦٧.

وأضيف "الخادم" إلى "الحرمين" وهو مثنى الحرم ويقصد بهما المدينة ومكة، وقد اشتق "الحرم" من مادة (حرم)، والحرم بالكسر، والحرام نقيض الحلال، وجمعه حُرُم^(١). قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢)، وحرمة الرجل حَرَمه وأهله، وحرَم الرجل ما يقاثل عنه، والحرمان: مكة والمدينة، ويقال: بلد حَرَام، ومسجد حرام، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣)، و﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾^(٤)، والشهر الحرام، سُمي بالمحرم لأنهم كانوا لا يستحلّون فيه القتال، وأضيف إلى الله تعالى تعظيماً.

ومكة والمدينة من أطهر بقاع الدنيا معظمة ومشرّفة، فلا يحلّ القتال فيهما، أو انتهاك حرمتها^(٥). فالاشتقاق اللغوي لهذه المادة يعطي دلالة المنع وعدم الانتهاك^(٦).

فعندما أضيفت كلمة (الحرمين) إلى كلمة (خادم) زادت تشریفاً وتعظيماً، فارتقت دلالتها، فمن الفخر والعظمة أن يتلقّب الحكّام بمثل هذا اللقب، والزيادة في التشريف، وُصِفَ الحَرَمين بالشرف، فقليل "الحرمين الشريفين" فالاختيار لمثل هذه الألفاظ المركبة، لا بُدَّ أن يحمل دلالة، وفي ذلك يقول حسين خريوش "إنَّ الأسماء ليست تبلغ الغاية القصوى من حفز النفس وتحريكها في كل تسمية، بل تؤثر فيها، بحسب ما تكون عليه حقيقة التسمية من الإبداع في كثير من المجالات المعنوية، فاستجابة النفوس

(١) اللسان، مادة حرم.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية ٩٧.

(٥) اللسان، مادة حرم.

(٦) نفسه، مادة حرم.

للأسماء من دلالات معنوية إلى جانب ما تستظهره هذه الأسماء من محاسن ترجع إلى تركيب الألفاظ أو معانيها^(١).

ويتّضح ممّا سبق، أنّ مثل هذه الألفاظ لها مكانة مؤثّرة في النفوس، إذ إنّ النفس الإنسانية المسلمة ترتاح إلى سماعها وذكرها.

وكان أول ظهور لهذا اللقب "خادم الحرمين الشريفين" في العصر الأيوبي، إذ أطلق على نور الدين زنكي، كما يذكر ذلك ابن قاضي شعبة في الكواكب الدريّة في السيرة النبوية في العام ٥٣٧هـ^(٢)، وأطلق على صلاح الدين في نصّ تعمير سنة ٥٨٧هـ في قبة يوسف في بيت المقدس، إذ كانت السيادة على الحرمين تُعدّ رمزاً لشمول النفوذ على العالم الإسلامي كلّ آنذاك، وكان صلاح الدين قد حرر بيت المقدس سنة ٥٨٧هـ وضمّه إلى ملكه، وأمّده ذلك بقوة دينية وسياسية، وأضفى عليه أهمية إسلامية، لم يستطع أحد أن ينازعه بها^(٣). ويستدل من ذلك أنّ الحرمين المقصودين هما مكة والمدينة، والسيطرة عليهما، تُعدّ سيطرة على العالم الإسلامي.

وأطلق لقب خادم الحرمين في الدولة المملوكية على سلاطين المماليك، وتلقّب به الظاهر بيبرس في نصّ تعمير سنة ٦٥٩هـ في قلعة بدمشق، وورد بصيغة (خادم الحرمين) في نصّ إنشائي سنة ٦٦٤هـ، وأطلق على السلطان قلاوون في نقش سنة ٦٨٣هـ، وعلى الأشرف قايتباي بصيغة (خادم حرمي الله ورسوله) في نقش سنة ٨٥٨هـ، ووردت مرادفات لهذا اللقب، منها في "ملك الجهات الحجازية"، وأطلق على

(١) التسمية، ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، حسين خريوش، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٩١، ص ٤٧.

(٢) الكواكب الدريّة في السيرة النورية، تاريخ السلطان نور الدين زنكي، بدر الدين بن قاضي شعبة، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧١، ص ٥٠.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص ٢٦٨.

السلطان قلاوون سنة ٦٨٧هـ، و"صاحب الأقطار الحجازية" على السلطان الأشرف سنة ٧٧٠هـ، وفي ذلك إشارة إلى سيادة المماليك على الأقطار الحجازية^(١).

وأطلق لقب "خادم الحرمين الشريفين" على السلطان سليم الأول في سنة ٩٢٢هـ^(٢)، وبعد احتلاله بلاد الشام حصل على لقب "حامي الحرمين الشريفين"^(٣)، وذلك إشارة إلى رجحان أهمية جانب الحماية الأمنية على جانب الخدمة. وورد اللقب بصيغة أخرى وهي "خديم الحرمين"^(٤)، و"خديم الحرمين الشريفين"^(٥).

في المكاتبات الواردة عن صاحب فاس إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية. وبإطلاق هذا اللقب بهذه الصورة انتقلت الصيغة من البناء للفاعل (خادم) إلى البناء (فعيل)؛ لأن رتبة اللقب ترتفع نظراً لمعنى المبالغة، كما يقول القلشندي: "فالكفيل أعلى من الكافل؛ لأن صيغة فعيل أبلغ من فاعل"^(٦). فخديم على وزن فعيل قد تأتي بمعنى اسم الفاعل وفيها معنى المبالغة، وقد تأتي بمعنى اسم المفعول "مخدوم"، فكأن الإنسان الذي يقوم على خدمة البيت الحرام يزداد تشريفاً وتقديراً وكأنه هو المخدوم، أو أن حامل اللقب خادم الحرمين وزوارهما، ومخدوم بخدمته لهما، أو ربّما كان الأمر يتعلّق بإعادة تجديد دلالة اللفظ بعد أن تمّ تداوله فترة طويلة، فكأنما ناله بعض بلي الألفاظ ورغب مستخدموه في تجديد بنقله إلى فعيل. وللظة (خديم) معانٍ يذكرها "دوزي": غلام مملوك، وجندي، وخديمة حرائة زراعة، وخديم عامية خديم^(٧).

(١) الألقاب الإسلامية، ص ٢٦٩

(٢) العرب والعثمانيون، ص ٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٢.

(٤) صبح الأعشى، ج ٨، ص ٨٧، ٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٠١.

(٧) دوزي: مادة (خادم).

وفي العصر الحديث أحييت المملكة العربية السعودية اللقب في عهد الملك فهد، وأعلن رسمياً استبدال لقب صاحب الجلالة ليكون اللقب الرسمي "خادم الحرمين الشريفين"، وكان ذلك في عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، إذ يقول الملك فهد إن هذا اللقب من أحب الألقاب إلى نفسه^(١).

وتتداخل الدلالة السياسية، والدلالة الدينية في هذا اللقب، فقد اختار هذا اللقب التشريفي والمحَبَّ إلى نفوس المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وذلك لأنَّ للحرمين الشريفين "مكة والمدينة" مكانة رفيعة في نفوس المسلمين، فهما من أظهر بقاع الأرض وأحبَّها إلى الله ورسوله، ويأتيها المسلمون من كل بقاع العالم.

- السَّامِي:

جاء في صبح الأعشى: السَّامِي من الألقاب التي تلي رتبة المجلس، فيقال: المجلس السامي، وهو مستعمل في السلطانيات ويقع في درجتين "المجلس السامي بالياء"^(٢)، و"المجلس السامي بغير الياء"^(٣). ويبدو أنَّ المقصود (السَّامِي) بياء واحدة هي ياء الأصل، والسَّامِي بياء مشددة الثانية فيها للنسبة، فيقال: السَّامِي.

ووردت اللفظة في الشعر الجاهلي، ووردت بمعنى الصيَّاد الذي يسمو في الجبل في قول الأعشى^(٤):

فأُطْلِقَ عَنْ مَجْنُوبِهَا فَاتَّبَعْنَاهُ كَمَا هَيَّجَ السَّامِي الْمَعْسَلُ خَشْرَمًا

ووردت بمعنى المكانة والمنزلة العالية في قول السموأل^(٥):

(١) المؤسسة العربية العالمية، مؤسسة الأعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ج ٢١، ط ١، ١٩٩٦، ص ٥٦٣.

(٢) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٤١.

(٣) نفسه، ج ٦، ص ١٤٣.

(٤) ديوان الأعشى، ص ٢٩٥.

(٥) شعر سموأل، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ص ٥٥.

ومن نَسَبِهِ السامي أبو الفضل يوسف الـ ذي أشبع الأسباط قمح السنابلِ

والسامي من سما يسمو، وزنها (فاعل)، الأصل (سامو) samiw انتهت بحركة مزدوجة هي (iw) ، ونظراً لنقلها حذفت شبه الحركة (w) وعوّض منها بإطالة الحركة (i) فصارت sami.

والأصل في الاشتقاق من السمو، وهو العلوّ والارتفاع، ومنه سموت وسميت، وعلوت وعليت، ويقال للحسيب وللشريف قد سما، وسما بصره علا، والمُساماه المفاخرة، والسّماء كل ما ارتفع وعلا، وكل سقف سماء^(١).

والسّماء مثل الرّؤماة، هم صيادو النهار، جمع سام، والسامي هو الذي يلبس جوربي شعر ويعدو خلف الصيد نصف النهار، ومنه (الاستيماء) وهو أن يتجورب الصائد لصيد الظّباء في الحر، ويطلق على الجورب الذي يلبسه الصيّاد ليقويه حرّ الرمضاء "المِسْمَاء"، إذ يخرج إلى الظّباء نصف النهار فتخرج من بيوتها ويأخذها^(٢).

فالأصل الدلالي لهذه اللفظة هو "الجورب"، وهو الذي يلبسه الصيّاد في الحرّ، فأطلقت التسمية "السّماء" على الصيّادين نسبة إلى الجورب الذي يلبسه فليل عنهم السّماء، وهم يمثلون فئة ذات منزلة عالية في المجتمع، فهم الذين يستطيعون الإتيان بالطعام وسط النهار، فانتقلت الدلالة من دلالة مادية مجردة إلى دلالة معنوية لتدل على العلوّ والرفعة والمكانة العالية^(٣).

والسامي هو أدنى تابعي اللقب الأصل (المجلس) في عصر المماليك وهما "العالي" و"السامي"، وقد جعل الكتاب العالي أرفع رتبة من السامي. وقد أنكر على

(١) اللسان، مادة سمو.

(٢) اللسان، مادة سما.

(٣) اللسان، مادة سماء.

واضعيه هذا التفاوت في المعنى؛ لأنَّ السموَّ من العلو، ويسوغ القلقشندي السبب في جعل العالي أرفع رتبة من السامي وإن كان بمعناه بقوله "العالي لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام، فيكون المدح به أعمّ باعتبار من يفهمه، بخلاف السامي، فإنّه لا يفهم معنى العلوّ منه إلّا الخاصة، فيكون المدح به أخصّ لاقتصار الخاصة على معرفته دون العامة"^(١).

ويمكن أن يُعدّ ذلك من باب التخصّص الدلالي، فالعلوّ علوّ مادي، والسموّ علوّ معنوي.

ووردت لفظة السامي نعتاً للمجلس في أواخر الدولة الأيوبية، ذكر ابن شيث في مراتب المخاطبين من السلطان: "وإذا كتب عن السلطان إلى مَنْ دونه من ذوي الأقدار عنده (بالمجلس السامي) فلا يَزاد على ذلك ثمّ يفرد عن النسب بعد (السامي)، فيقال للأمير الأجلّ من غير ياء النسب، ولا يقال: العالي مكان السامي إلّا أن يكون الكتاب من الأدنى إلى الأعلى، وقد يُجمع بينهما لذوي الأقدار، ولا يُنعت المقام بالسامي، بل بالعالي"^(٢).

ويُستدل من ذلك أنّهم كانوا يفرقون بين السامي والعالي، فالعالي درجة أعلى من السامي، مع أنّه كان يجمع بينهما لذوي الأقدار على ما يذكر ابن شيث، ولكن نعت المقام بالعالي أعلى كما ورد في قول القلقشندي سابقاً؛ لأنّ العالي يفهمه العام والخاص بخلاف السامي.

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٩٩.

(٢) معالم الكتابة، ص ٧٣.

ويقال: المجلس السامي بالياء، والمجلس السامي بغير ياء، والأعلى أن تذكر النسبة إليه، فيقال (المجلس السامي)، وفي هذه الحالة تذكر الألقاب المفردة التي تتبعه في صيغة النسبة، فيقال "المجلس السامي الأميري، الكبير، العالمي"^(١).

وأما المجلس السامي بياء ساكنة، فتأتي الألقاب المفردة التي تتبعه بالصفة المجردة، فيقال "المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير"^(٢).

والسامي بالياء هو من ألقاب أرباب السيوف^(٣)، وأما السامي بغير الياء، فهو من ألقاب الولاة الطبلخاناه، ومن ألقاب مشايخ الصوفيّة^(٤).

وورد المجلس السامي بالياء المشددة في بعض المراسيم لأmir آل مرّا من عرب الشام، وورد في ألقاب أمراء العرب، وعن نائب الشام^(٥).

ويلاحظ أنهم كانوا يفرّقون دلاليّاً بين الاستخدام "السامي بالياء المشددة" والسلمي "بالياء الساكنة" بخلاف من يكتب إليهم. فالسامي بالياء المشددة تكتب لذوي الأقدار، وممن لهم رتبة ومنزلة أعلى، بخلاف السامي بالياء الساكنة الذين تكون درجتهم ومنزلتهم أدنى.

ويعرض القلقشندي تحليلاً لغوياً لكلمتي "السامي" و "العالِي"، إذ يقول: "إنّ العالِي والسامي اسمان منقوصان كالقاضي والوالي، وقد تقرر في علم النحو أنّه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص جاز فيه إثبات الياء وحذفها فيقال: القاض والقاضي ونحو ذلك، وحينئذ يجوز في العالِي والسامي إثبات الياء وحذفها، ولكنّ الكتاب لا

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٤١..

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٤٣.

(٣) نفسه، ج ٨، ص ٢٠٧.

(٤) نفسه، ج ٧، ص ١٨٠.

(٥) نفسه، ج ٦، ص ١٤٢-١٤٣.

يستعملونهما إلا بالياء^(١). وقد جاء في الهمع أن المعرف بأل من المنقوص تثبت فيه الياء، وفي لغة قوم يحذفون الياء منه، ومن ذلك قوله تعالى: «الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ»^(٢)، وقوله تعالى: «وَيَوْمَ التَّنَادِ»^(٣)، على أنها جارية مجرى المضاف الملاقى الساكن، قاضي المدينة إذا وقف عليه زالت الإضافة^(٤). ويقول الواسطي في شرح اللمع: "لأن من العرب من يقف بلا ياء، فحذف الياء قبل دخول الألف واللام ثم أدخلها عليه، وقد وجب الحذف"^(٥).

وهذا يدعم ما ذهب إليه القلقشندي في أنه يجوز إثبات الياء أو حذفها في الاسم المنقوص المعرف بأل التعريف.

أما استعمال الكتاب لهما بالياء مع جواز الحذف، فيحتمل خوفاً من التباس "السامي" مجردة عن الياء "بالسام" والتي تحمل معنى آخر مغايراً تماماً للمعنى السوارد، وأما العالي فمن باب طرد الباب على وتيرة واحدة.

يقول القلقشندي: "وأما العالي فيجوز أن تكون الياء التي يثبتها الكتاب في آخره هي الياء اللاحقة للاسم المنقوص على ما تقدم، وتكون حينئذ ساكنة، ويجوز أن تكون ياء النسب نسبة إلى العالي، وتكون مشددة، وكذلك السامي في الياء"^(٦).

والقياس في نسبة العالي والسامي أن يقال "عالوي" و"ساموي"؛ لأن النسب يعيد الأشياء إلى أصولها.

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩٦.

(٢) الرعد، الآية ٩.

(٣) غافر، الآية ٣٢.

(٤) همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ج ٦، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠، ص ٢٠٣.

(٥) شرح اللمع في النحو، ص ١٨.

(٦) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩٦.

وتوضيح ذلك من وجهة نظر صرفية حديثة، أن السامي الأصل في النسبة إليها "الساموي" samawiy → samiy ، وقد تشكلت حركة مزدوجة هابطة aw ووليت بكسرة! ونتيجة لنقل المقطع سقطت الحركة المزدوجة (aw) فأصبحت سامي samiyy.

أما السامي في الوقت الحاضر، فيلاحظ الرقي الدلالي لهذه اللفظة عما كانت عليه سابقاً، فهي من الألفاظ التي يوصف بها المقام في الوقت الحالي، وتختص بمخاطبة الملك والسلطان، ففي الأردن مثلاً تُعدّ من الألفاظ التي يوصف بها مقام جلالة الملك "فيقال: "أرفع إلى مقامكم السامي"، وتتعت به أوامر ورغبات جلالة الملك فيقال "الإرادة الملكية السامية"، و"الرغبة الملكية" و "الأمر السامي"، ويبدو أن تمسك الأردن بها دون باقي البلاد العربية؛ لأنّ الملك المؤسس عبد الله بن الحسين -رحمه الله- كان على اطلاع واسع على ثقافة الدواوين العربية القديمة والتركية، وثانياً أن الرعيل الأول من رجال الدولة الأردنية كانوا متقّفين بالثقافة العثمانية.

وفي الدول التي تستخدم لقب الأمير، يقولون "سمو الأمير"، فكلمة "سمو" مضاف، وكلمة "الأمير" مضاف إليها، فيقال: "صاحب سمو الملكي".

أما لفظة "العالي"، فقد تغيّر استخدامها، مع أنه يقال: المقام العالي إشارة إلى المرتبة الملكية أو السلطانية أو الأميرية، ولكنها لم تعدّ رسمية كما كانت، وأصبحت تتعت بها ألفاظ أخرى، فيقال: "التعليم العالي" أو "المجلس العالي" لتفسير الدستور.

- السيد:

جاء في صبح الأعشى: "السيد من الألقاب السلطانية، فيقال: السلطان السيد الأجل ونحو ذلك، ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما، والسيد نسبة إليه للمبالغة"^(١).

ورد لقب السيد في الشعر الجاهلي، دالاً على التفخيم والتعظيم والتشريف، قال المهلهل بن ربيعة^(٢):

سَيِّدُ سَادَاتٍ إِذَا ضَمَّهُمْ مُعْظَمُ أَمْرِ يَوْمِ بُؤْسٍ وَضِيقِ
لَمْ يَكُ كَالسَّيِّدِ فِي قَوْمِهِ بَلْ مَلِكٌ دِينَ لَهُ بِالْحَقِّ وَقُوقُ

فهو يطلق على الملك رئيس القبيلة، قال زهير بن أبي سلمى مخاطباً هرم بن سنان والحارث بن عوف^(٣):

يَمِيناً لَنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجُدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ

وقالت الخنساء في وصف شقيقها صخر^(٤):

السَّيِّدُ الْجَحْجَاحُ وَابْنُ السَّادَةِ الشَّمِّ الْجَحَاجِرِ

وورد اللفظ في القرآن الكريم بمعنى الزوج، قال تعالى: ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى

الباب﴾^(٥).

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٦.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتحقيق انطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، ص ٥٧.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٠٥.

(٤) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ٣٠.

(٥) سورة يوسف، الآية ٢٥.

ووصف سبحانه وتعالى سيدنا يحيى بقوله: ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾^(١)، والسيد هنا بمعنى فاق نظراءه في الشرف والسودد، وقيل لأنه يسود سواد الناس؛ أي عظيمهم وجلهم، وجمعه على (فَعْلَة) شاذ قياساً فصيح استعمالاً، والأصل سَوْدَه^(٢). بمعنى ممتنعاً عن جماع النساء^(٣)، وورد بصيغة الجمع: ﴿ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا ﴾^(٤)، وفي الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر"^(٥)، ويُراد بذلك أنه أول شفيع واتبعها بلا فخر، للدلالة على أنه لم ينلها بنفسه ولا بقوة، وإنما بقوة الله^(٦).

وورد في الحديث أيضاً أن "السيد" لقب أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن ابن أبي طالب: "صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فقال: إن ابني هذا سيد يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين"^(٧). وفي الحديث أيضاً "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة"^(٨). وجاء في الحديث أيضاً: "كلُّ بني آدم سيّدٌ، فالرجل سيّدُ أهل بيته، والمرأة سيّدةُ أهل بيتها"^(٩).

والأحاديث الشريفة التي وردت فيها اللفظة كثيرة، وكلها تحمل الدلالة نفسها من حيث التشريف والفضل والزعامة.

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٩.
(٢) الدر المنصور، ج ٣، ص ١٥٧، ١٥٨.
(٣) تفسير الطبري، ج ٣، ص ٢٥٥.
(٤) سورة الأحزاب، الآية ٦٧.
(٥) الجامع الصحيح، سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥، ج ٥، ص ٥٨٧.
(٦) اللسان، مادة سود.
(٧) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٥٨.
(٨) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٦٥٦.
(٩) النهاية، ٤١٧/٢.

واشتقَّ اللفظ من مادة (سود)، والجمعُ (سَادَة)، نحو: قَيِّم وقَامَهِ، وقيل: إنَّ السَّادَة جمع سَائِد، وكذلك قَامَهِ وعَالَهُ^(١). "والسيد يطلق على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والمحتمل أذى قومه، والزوج، والرئيس". "والسيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والنفع والذي لا يغلبه غضبه"^(٢).

واختلف في وزنها الصرفي على أقوال: ذهب الكوفيون إلى أن وزن (سيد)، على (فَعِيل)، نحو: سويد. وذهب البصريون إلى أن وزنه (فَيْعِل) بكسر العين، وذهب قوم إلى أنه على وزن (فَيْعَل) بفتح العين. أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنَّ أصله فَعَيْل نحو: سويد، وهوين؛ لأنَّ له نظيراً في كلام العرب بخلاف (فَيْعَل). أمَّا البصريون، فقالوا: إنَّما قلنا إنَّ وزنه (فَيْعِل)؛ لأنَّ الظاهر من بنائه هو الوزن، والتمسك بالظاهر واجب^(٣).

ويمكن تحليل الكلمة بكتابتها كتابة صوتية، ووصف ما جرى لها من تغير، فسيد من ساد يسود، وزنها فَيْعَل، فالياء الأولى من سيد هي زيادة، والثانية منقلبة عن واو، فالأصل سيود saywid، فتشكلت حركة مزدوجة هي (wi) مسبوقة بحركة مزدوجة أخرى هي (ay) فسقطت نواة الثانية (w) وعوض منها بإطالة الكسرة، وأدغمت الكسرة (I) في الياء (yi) فصارت sayid.

والسيد لقب تشريف يخاطب به الأشراف من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأطلق حديثاً في بعض الدول على كل فرد^(٤).

(١) اللسان، مادة سود؛ تاج العروس، مادة سود.

(٢) اللسان، مادة سود؛ تاج العروس، مادة سود.

(٣) الانصاف في مسائل الخلاف، كمال الدين بن الأنباري، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٨، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٤) معجم الوسيط، مادة سود.

ولم يقتصر إطلاق لفظ "السيد" على سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، بل أطلق على بعض الولاة والوزراء، فأطلق على أمراء بخارى، ونعت به بنو بويه، وكان لقب "السيد الأجل" من ألقاب أمراء الجيش في العصر الفاطمي، ثم صار من ألقاب صلاح الدين^(١).

واصطلح إطلاقه على أبناء علي بن أبي طالب، وكثيراً ما يتصل به الشريف، فيقال "السيد الشريف"، وأطلق بهذا المعنى على معاذ بن داود وهو من سلاسة علي بن أبي طالب في نص جنائزي سنة ٢٩٥هـ^(٢). وأطلق لقب "السيد الرئيس" على الحسين ابن أحمد القرمطي أحد رؤساء القرامطة في نقش على دينار سنة ٣٦٢هـ^(٣)؛ لأنه يدعي النسب العلوي^(٤).

وكان يضاف اللقب إلى ضمير المتكلم الجمع، فيقال: "سيدنا، ويخاطب به السلاطين، ورجال الدين، ممّا دفع ابن شيث في أواخر العصر الأيوبي إلى النصح بإضافة لقب (مولانا) إلى سيدنا في حالة مخاطبة السلاطين، حتى لا يلتبس برجال الدين. وفي ذلك يقول ابن شيث: "ولا يخاطب السلطان في خلال الكتابة إليه "بـسيدنا" مكان "مولانا"، فإن "سيدنا" كأنها خصصت بأرباب المراتب الدينية والديوانية، "ومولانا" تخص السلطان وحده، وإن كان ذلك مخالفاً لأهل المغرب لأنهم يسمّون ولاية أمورهم (السادة)، وصاحب الأمر سيدنا فلان"^(٥).

(١) الألقاب الإسلامية، ص ٣٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص ٣٤٦.

(٤) تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، ط ٢، مطبعة دار قريش، ١٣٨٠هـ، ص ١٤٨ وما بعدها.

(٥) معالم الكتابة، ص ٦٦.

وعَلَقَ القلقشندي على كلامه بقوله: "وكانَ هذا كان في زمانه وإلاَ فالمعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان (بالمولى)، يقول أحدهم مولانا فلان، وأهل مصر يطلقون السادة على أولاد الملوك"^(١).

ويلاحظ أن ثمة تداخلاً دلاليّاً لهذا اللقب في العصر الأيوبي يبدو في الدلالة السياسية والدينية لكلمة "السيد".

وورث سلاطين المماليك اللقب عن الأيوبيين، إذ إنه أطلق على السلطان الملك الأشرف شعبان في نقش سنة ٧٧٠هـ^(٢).

وقد دخل اللقب في تكوين كثير من الألقاب المركبة، مثل "سيد الأكابر في العالمين"، وهو من ألقاب المقرّ الشريف^(٣)، وسيد الأمراء في العالمين، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف^(٤)، وسيد العلماء والحكام^(٥)، و"سيدة الخواتين من ألقاب النساء"^(٦).

وورد اللقب بصيغة المؤنث "السيدة" وهو لقب عام على النساء، وكان ينقش أحياناً على النقود، وقد ظهر اللقب على النقوش مثل لقب السيد، وأطلق على أم جعفر بنت أبي الفضل سنة ١٩٢هـ في نصّ تعمير في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف، وعرف في جهات مختلفة من أنحاء العالم الإسلامي، وأطلق على أم المقتدر بالله في نقش سنة ٣٠١هـ^(٧).

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٠٥.

(٢) الألقاب الإسلامية، ص ٣٤٩.

(٣) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٥٤.

(٥) نفسه، ج ٦، ص ١٥٤.

(٦) نفسه، ج ٦، ص ١٧٢.

(٧) الألقاب الإسلامية، ص ٣٥٠، ٣٥١.

وأما في العصر الحديث، وبعد ثورة الجيش في مصر سنة ١٩٥٢م، فقد ألغيت الألقاب المشعرة بالفوارق الطبقيّة مثل: الحضرة، والملك، وسمو الأمير، وظهر لقب جديد وهو "السيد"، وأطلق على المصريين كافة، وبهذا أعطي اللقب دلالة جديدة لم تكن له. واللقب "السيد" في العربية في مصر يختلف عن mister في الإنجليزىة، و monsieur في الفرنسية، و Her في الألمانية؛ لأنّ هذه الألقاب تطلق على العامة من هذه الشعوب الذين لا يحملون ألقاباً مثل "lord" و "sir" وباستعمال السيد بهذا المعنى استعملت معه عبارات مثل "سيادتكم"، و "سيادة فلان"^(١).

ويستعمل "السيد" لقباً في بعض الدول الإسلامية؛ كإيران، وتركيا، ويستعمل في الهند، والملايو، ويشيع استخدام "سيدي" بالعامية (سيدي) والتي تطلق على الأولياء والأخيار، وتستخدم في مخاطبة الرؤساء تعظيماً واحتراماً، ويطلق على كبير السن والمقام^(٢).

تستخدم كلمة "سيّد" مضافة إلى الضمائر المناسبة في الأكثر بمعنى الجدّ في الأردن ومصر، ويقابل ذلك في المونث "سيت"، وفي بنغازي "سيدي" بمعنى "عمي"، ويستعمل في بعض الدول العربية مختصر "سيدي" هو "سي"، وسي أكثر ما تستعمل في مخاطبة الشباب^(٣).

وشاع في معظم البلاد العربية التمييز بين المتزوجة والبكر، فتلقّب الأولى "السيدة"، والثانية "الآنسة"، ويقال اختصاراً للسيدة "ست"، ولسيدتنا "ستنا"^(٤).

(١) اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، محمود السعران، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٣، ص٧٨، ٧٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٥، ٨٦.

(٣) نفسه، ص٨٦، ٨٧.

(٤) اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص٨٧.

ويبدو أن التحول من سيدة إلى ست، ومن سيدتنا إلى ستنا، جاء نتيجة مماثلة تقدمية يمكن توضيحها على النحو الآتي: فسيدة بالتأنيث sayydatun وبإضافة ياء المتكلم sayydaty ، إذ حصل مماثلة تقدمية أثر فيها صوت التاء في صوت الدال فتغيرت، وأدغمت في التاء، فأصبحت (sitty)، ويلاحظ سقوط الياء، وكأن أصل اللفظ "ست" sittun، وسقوط الأصوات هنا للتخفيف نظراً لكثرة الاستعمال. فالمماثلة، هي تأثير الصوت بالصوت الذي يليه، أو الذي قبله، تأثراً يجعله مثله أو قريباً منه في الصفة أو المخرج، تحقيقاً للانسجام الصوتي في الألفاظ والكلام وتوفيراً للجهد العضلي الذي يبذله الإنسان أثناء النطق^(١).

والسيد لفظة تحمل معنى السيادة والرفعة الاجتماعية، يرى حسين خريوش، أنها تكاد تنحصر في الديار المصرية، ولعلها منقولة عن المصرية القديمة في لفظة "النبي" "بمعنى الرسول"، فاللفظ مركب من لفظين "نب وي" ومعناها رئيس البيت، أو شيخ العائلة^(٢). ويبدو أنها عربية الأصل من نبا ينبو فهو نبي.

ويستعمل اللقب الآن بصيغة المفرد، وصيغة المثنى، وصيغة الجمع، ويستخدم في مخاطبة رؤساء الدول، فيقال: السيد الرئيس، أو سيادة الرئيس كما في مصر وسوريا، ويخاطب به العامة مضاف إلى "حضرة" أو مجرداً عنها "السيد فلان"، وهذا الاستخدام بتأثير من الظروف النفسية والاجتماعية على اللغة، و"حضرة السيد". وما تزال الدلالة مستعملة في مخاطبة جلالة الملك، فيقال "سيدي صاحب الجلالة"، و"سيدي حضرة صاحب الجلالة"، ويمكن أن تكون مرادفة لكلمة (مولاي).

(١) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي الخليل،

ط١، جامعة مؤتة، ١٩٩٣، ص ١٢٣.

(٢) التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، ص ٥١.

وأحياناً يستعمل لفظ "السيد" في مجال السخرية كقولنا "عمل هذا السيد فلان"، ويتضح ممّا سبق أنّ الدلالة التي يحملها اللفظ فيها معنى التعظيم والتشريف والتفضّل، فقد دلّ على صفة وعلى مرتبة عالية، وظهر منه التخصيص الدلالي ليدلّ على الأشراف، ومن ثمّ التعميم الدلالي ليدلّ على عامة الناس في الدول العربية ومنها الأردن.

- الشَّريف:

جاء في صبح الأعشى: "الشريف هو فعيل من الشرف، وهو العلوّ والرفعة، وهو من ألقاب المقرّ والجناب، ويقال: المقرّ الشريف، والجناب الشريف، وهو مختصّ بالأشراف أبناء فاطمة من علي رضي الله^(١)."

ووردت اللفظة في الشعر الجاهلي للدلالة على المكان العالي المرتفع، قال لبيد^(٢):

وما كادَ غُلَانُ الشُّرَيْفِ يَسْعَفَنَّهُمْ بحلّة يومٍ والشُّرُوجُ القَوَابِلُ

وورد اللفظ مصغراً "الشُّرَيْف" للدلالة على وادٍ بخيبر في قول طرفة^(٣):

لهندٍ بحزّانٍ الشُّرَيْفِ طُلُـولٌ تلوحُ وأدنى عَهْدُهُنَّ مُحِيلُ

ووردت بمعنى التفوّق في الشرف في قول الخنساء^(٤):

فَلَوْ أَنَّ الْمَنُونَ تَعَدَّلُ فِينَا فَتَنَالُ الشَّرِيفَ وَالْمَشْرُوفَا

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٧.

(٢) شرح ديوان لبيد، ص ٢٦٥.

(٣) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق دريّة الخطيب، ولطفي الصقال، ١٩٧٥، ص ٨١.

(٤) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ٦٩.

فالشريف والمشروف صفة لموصوف محذوف. ولم ترد لفظة "الشريف" في القرآن الكريم ولا اشتقاقاتها، ولكنها استعملت في وصف آيات القرآن، فقل أشرف آية في القرآن آية الكرسي^(١).

وفي الحديث الشريف، أطلقت اللفظة على الشخص ذي المكانة والجاه، قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يقيمون الحدَّ على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده، لو فاطمة فعلت ذلك لقطعْتُ يدها"^(٢). والشريف على زنة (فَعِيل) صفة مشبهة من شَرَفَ، فهو شريف، والجمع أشرفاء وشرفاء، مثل يتيم وأيتام^(٣).

ويدور الأصل للفظ حول العلو والارتفاع، فالشرف العلو والمكان العالي، ومشارف الأرض أعاليها، والشريف كل ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله، والشرف من البعير سنامه، والشرفة التي تشرف بها القصور، ودلت الشريف على القَدَم والكِبَر^(٤).

وفي معجم (دوزي) الشرف: المديح والحمد، وعند المنجمين، يطلق على ارتفاع الكوكب، "ويقول المنجمون إن الكوكب في شرف إذا احتل دائرة الفلك موضعاً يستطيع أن يؤثر كل تأثيره"، والشريف: الثوب والرداء^(٥).

(١) اللسان، مادة شرف.

(٢) صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٦.

(٣) اللسان، مادة شرف؛ تاج العروس، مادة شرف.

(٤) اللسان، مادة شرف.

(٥) دوزي، مادة شرف، ج ٧، ص ٢٩٦.

فدلالة الكلمة كانت مادية ثم انتقلت إلى الدلالة المعنوية، فالشرف: الحسب بالأباء، والشرف المجد لا يكون إلا بالأباء، ويقال رجل شريف، ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف، والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف^(١).

فمدلول هذه الكلمة والتي تحتوي على مجموعة صفات بعضها بالنسب وبعضها بالحسب تجعل الإنسان في منزلة أعلى من غيره، فالشرف والمجد لا يكون إلا بالأباء أو علو الحسب.

ظهر لقب الأشراف في العصر العباسي سنة ٣٥٨هـ، وأسس الأشراف من الفرع الحسني والحسيني إمارة في مكة، وإمارة في المدينة^(٢)، ويطلق على الأشراف أحياناً اسم "العلويين" نسبة لعلي، وهم كل من تحدر من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم من أبناء الحسن أو الحسين أبناء علي بن أبي من أمهم فاطمة^(٣).

وعدّ المؤرخون لقب الشريف، أول ما أطلق على العلويين في مصر^(٤)، وصار لقباً عاماً على كل عباسي في بغداد، وكل علوي بمصر^(٥)، وكان العباسيون والعلويون يخضعون جميعاً لنقيب واحد، حتى القرن الرابع، وفي أواخر القرن الرابع صار لكل فريق نقيب خاص^(٦). وفي الأندلس أطلق الشريف على الأموي أيضاً^(٧)، واستمرّ اللقب

(١) اللسان، مادة شرف.

(٢) تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ط٢، دار قريش، مكة، ١٣٨٠هـ، ص ١٧٠ وما بعدها.

(٣) معجم العالم الإسلامي، مادة شريف.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة شريف.

(٥) نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد زينهم، ومحمد عزت، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٧٩.

(٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٩٢.

سمة في مصر على أبناء فاطمة في عهد الأيوبيين وعصر المماليك^(١)، واستعمل اللفظ في عصر المماليك كصفة تشير إلى القداسة أو الملكية، فيقال "المصحف الشريف" و"العلم الشريف"، و"الحرم الشريف" و"القدس الشريف"^(٢).

والشريف كما يقول القلقشندي جعله الكتاب أعلى رتبة من الكريم لماورد عن ابن السكيت، أن الكريم يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء، والشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء، ومعنى ذلك أن تفضيل الشريف على الكريم لاشتماله الفضل في نفس الشخص وفي آبائه بخلاف الكريم، ولذا اختير الشرف لأبناء فاطمة رضي الله عنها دون الكرم^(٣).

يرد المصطلح في سلسلة الألقاب المفتوحة بالمقام والمقرّ والجناب^(٤). واستعمل لقب الشريف لما يضاف إلى السلطان من أنواع المكاتبات، فقول "عهد شريف"، و"تقليد شريف"، و"توقيع شريف"، و"مرسوم شريف"^(٥).

وما يقال في "الشريف" يقال في "السيد" وقد أطلقت التسمية بالشريف في كثير من البلاد الإسلامية على أبناء الحسن والحسين وحدهم، وفي حضرموت لقبهم الجاري هو "السيد"، وفي الحجاز كانت العادة أن يسمى "بالشريف" أبناء الحسن وحدهم الذين كان أجدادهم حكام مكة، وكان اسم "السيد" يطلق على أبناء الحسين فقط، ويخاطب في مكة "الشريف الأكبر" بقولهم "سيدنا"^(٦).

(١) الألقاب الإسلامية، ص ٣٥٨.

(٢) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٩٨، ٩٩.

(٤) نفسه، ج ٦، ص ١٥٥.

(٥) نفسه، ج ٦، ص ١٨٧.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، مادة شريف.

وأطلق اللفظ على الشريف الحسين بن علي طيّب الله ثراه لكونه من سلالة أبناء علي بن أبي طالب، وأحيي اللقب مجدّداً في العام ١٩٩٢، إذ تلقّب به جلالة الملك الحسين بن طلال رحمه الله بعد أزمة الخليج.

ويلاحظ ممّا سبق الاستقرار الدلالي لهذه اللفظة، فالدلالة الأصلية لها دلالة مادية، ثمّ انتقلت للوصف كدلالة معنوية، ثمّ خصصت هذه اللفظة للدلالة على نسل الحسن والسادة للدلالة على نسل الحسين، واستمرارها للدلالة على ما هو عالٍ، وذو المكانة والجاه، وحدث توسّع في استعمالها، وهذا التوسّع لم يحطّ من قدرها، إنما زاد من قيمتها، فأصبحت تضاف تشريفاً إلى كثير من الألقاب، كالحرّم، والقدس، والمصحف، وغيرها.

وأصبح للفظ مدلول آخر، وهو ما يتعلّق بالطهارة والعفة، فيقال: فلان شريف، وفلانة شريفة، وهي أسمى ما يمكن أن يتحلّى به الإنسان.

- الأَفْخَمُ:

جاء في صبح الأعشى "الأَفْخَمُ من ألقاب ملوك المغرب، وهو أفعْل التفضيل من الفخامة،، وهي العظمة والقوة"^(١). ووردت بصيغة اسم المفعول "المفخَم"، وهو من ألقاب ملوك المغرب"^(٢)، وورد اللفظ في الشعر الجاهلي بصيغة المصدر "فخم"، قال عمرو بن قميئة^(٣):

وملمومة لا يخرقُ الطَّرْفُ عَرْضَهَا لها كوكبٌ فخَمٌ شديدٌ وضوحُها

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٩.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٦٥، ص ٣٢.

وقال نابغة بن شيبان^(١):

لها وجه كصحن البدر فخمٌ ومُنسَجَرٌ على المَتْنينِ سُودُ

فوردت بمعنى الفَخامة في الوجه، والامتلاء مع الجمال والمهابة.

وورد في شعر صدر الإسلام، قال حسان^(٢):

ورثنا سناءً منه مبرزاً ومَحْتَدَاً مُنِيفَ الذُّرى فخمَ الأرومةِ يُذَكِّرُ

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم، ولا أي من اشتقاقاته، وروي في الحديث "أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان فخمًا فخمًا"^(٣)، ولم تكن الضخامة في جسمه وإنما في وجهه، ويُعنى بها نبلة وامتلاؤه مع الجمال والمهابة^(٤).

واشتقَّ اللفظ من مادة (فَخَمَ)، على وزن (فَعَلَ) وهي صَقَّة مشبهة، فالفاء والخاء والميم أصل صحيح يدلُّ على جزالة وعظم^(٥)، وفَخَمَ الرجل فخامة؛ أي ضَخَمَ، ورجلٌ فاخَمَ؛ أي عظيم القدر^(٦). فالفخامة جمعت بين صفتين، الصفة المادية من حيث الامتلاء والضخامة، والصفة المعنوية من حيث النبل والشرف والعظمة. فالفخامة في الوجه النبل والامتلاء، ورجل فخم كثير لحم الوجنتين. والتفخيم في الحروف، ضدَّ الإمالة، والفيخمان: "الرئيس المعظم الذي يصدر عن رأيه ولا يقطع أمر دونه"^(٧).

(١) ديوان النابغة الشيباني، تحقيق عبد الكريم إبراهيم يعقوب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٨٧، ط١، ص٩٦.

(٢) ديوان حسان بن ثابت، ص٣٨٧.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين بن علي الهيتمي، (ت٨٠٧هـ—)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٦، ج٨، ص٢٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٧٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة، مادة فخم.

(٦) اللسان، مادة فخم.

(٧) اللسان، مادة فخم.

وجاء في دوزي، أن (فَخْم) تطلق على فخامة البلاط الملكي، أي ضخامته وعظمته.^(١) ويلاحظ من الاشتقاقات السابقة أنها جميعها تدور حول معنى واحد وهو العظم، وقد جرى الانتقال الدلالي لهذه اللفظة من المجال الحسي المادي، وهي ضخامة الجسم إلى المجال المعنوي للتعبير عن عظم الملك.

ووردت اللفظة بصيغة اسم التفضيل "الأفخم"، و"اسم التفضيل" هو "الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة، وقياسه أن يأتي على أفعل"^(٢).

ومع أن القلقشندي أورد اللفظة بصيغة أخرى وهي صيغة اسم المفعول "المفخم"، إلا أنه يقر أن هناك تفاوتاً عاماً بين الألقاب التوابع بناءً على صيغة اللقب، فاللقب الذي يأتي على صيغة التفضيل أرفع من الذي يأتي في الصيغة العادية؛ لأنه يحمل مع دلالته المعجمية دلالة أفعل التي تدلّ على التفضيل، "فالأشرف أرفع من الشريف، والأكبر أرفع من الكبير"^(٣). وهو يفضل صيغة اسم التفضيل على أي من الصيغ الأخرى.

ويرى حسين خربوش " أن صيغة اسم التفضيل تقتضي أن صاحبها هو الأفضل والأوحد على الاستمرار، والفرق بينها وبين الصيغ الأخرى أن هذه الصيغة في التسمية تفيض بما يملأ النفس تميزاً وتفضيلاً، وهي تبعث في النفس ذلك التأثير بالافضلوية"^(٤).

وتستخدم اللفظة في العصر الحديث، وشاع أن يستخدم فخامة مصدر الفعل (فَخْم) مضافاً إلى "صاحب"، فيقال: صاحب الفخامة، أو مضافاً إلى الرئيس، فيقال: فخامة

(١) دوزي، مادة فخم، ج ٨، ص ٢٦-٢٧.

(٢) شذا العرف، ص ٨٩.

(٣) صبح الأعشى، ج ٩، ص ٩٨؛ ج ٥، ص ٤٩٣.

(٤) التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، ص ٧٣.

الرئيس. ويبدو أن المعاصرين اتجهوا إلى استخدام صاحب الفخامة لمجازاة صاحب الجلالة، وصاحب السيادة، فيقال: "جلالة الملك"، و"سيادة الرئيس" أو أن المعاصرين يرغبون في إعادة صقل اللفظة بتغيير هياتها، وفضلاً عن هذا، فإن الوصف بالمصدر فيه مبالغة، فقد عري من الزمن والذي يلحق "الفعل"، وعري من المفاضلة التي تفهم من اسم التفضيل، فصاحب الفخامة مضاف ومضاف إليه، وكأنها ملك لصاحبها لا تفارقه.

وانتقال اللفظة إلى المصدرية لا بد وأن يحمل دلالة، وفي ذلك يقول حسين خريوش: "فالجوء إلى التسمية بالمصدر ينطوي على أجواء نفسانية معينة، إذ إن تقوية الكلام بالتأكيد المصدري هو من علامات الحقيقة"^(١). ويفهم من ذلك أن التسمية بالمصدر فيها تأكيد ومعنى أبلغ من التسمية بأيّة صيغة من صيغ الاشتقاق الأخرى.

وأورد القلقشندي الصيغة المؤنثة "المفخمة" من ألقاب ملوك الكفر، ويورد صورتها بقوله "الملكة، الجليّة، المكرمة، المبجلة، المفخمة"^(٢).

ويقابلها في الاستخدام المعاصر "الملكة المعظمة".

ويلاحظ التغير الدلالي في الاستخدام لهذه اللفظة، إذ انتقلت دلالتها من مخاطبة الملوك كما كان سابقاً إلى مخاطبة رؤساء الدول في الوقت الحالي، ولم يعد لها أي ارتباط بالملوك؛ لأنها سدت مسدّها جلالة.

وتستخدم في العصر الحالي بصيغة اسم التفضيل "الأفخم" في مخاطبة رؤساء الحكومات في الأردن وبعض الدول العربية، فيقال "دولة الرئيس الأفخم، واستخدمت في مخاطبة الوزراء، فيقال فخامة الوزير"^(٣)، واستخدمها جلالة الملك عبد الله الأول في مخاطبته للمندوب السامي^(١)، "فخامة المندوب السامي"، وفي مخاطبته لرئيس

(١) التسمية وماهيتها وفلسفتها، ص ٥٢.

(٢) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٧٩.

(٣) مذكرات الملك عبد الله، نشر أمين أبو الشعر، ١٩٦٥، ص ٢٥٨.

مخاطبته للمندوب السامي^(١)، "فخامة المندوب السامي"، وفي مخاطبته لرئيس الديوان الملكي "سماحة رئيس الديوان الملكي العالي الأفخم"^(٢).

ومما يلاحظ الآن ورود الصيغتين "صيغة اسم التفضيل (بالأفخم)، وصيغة المصدر (فخامة) في الاستخدام، فالأفخم تستخدم في مخاطبة رؤساء الحكومات، وتأتي صفة قبل الموصوف في نهاية اللقب، فيقال دولة الرئيس الأفخم، والفخامة لأنها مصدر تأتي في مخاطبة رؤساء الدول وتكون في بداية اللقب (فخامة الرئيس). ثم يذكر اسمه المجرد واسم عائلته، كما هو مستخدم في سوريا ولبنان. ويلاحظ أيضاً أنها أصبحت تطلق على كل ما فيه عظمة أو مبالغة أو مصدر إعجاب، حتى في الأشياء المادية، فنقول مثلاً: بناءً فخماً، وعمارة فخمة، وسيارة فخمة.

- المعظم:

جاء في صبح الأعشى: المعظم اسم مفعول من العظمة، وهي الجلالة، وهو من ألقاب الملوك، وقد تلقب به ملوك المغرب، واستعمل في ألقاب ملوك الكفر^(٣). وردت اللفظة في الشعر الجاهلي بمعنى الافتخار والاعتزاز بالقوة والفروسية، قال عامر بن الطفيل^(٤):

فأنا المعظم وابن فارس قرزل وأبو براء زأنبي ونمازي

وورد الاشتقاق "عظيم" للدلالة على القدرة والمكانة العالية في قول عنتر بن شداد^(٥):

(١) مذكرات الملك عبد الله، ص ١٧١.

(٢) الوثائق الهاشمية، أوراق عبد الله بن الحسين، المجلد الأول، إعداد وتحرير محمد عدنان البخيت، ورندة نصري، منشورات جامعة آل البيت، الشركة العربية الأردنية للصحافة والنشر، ١٩٩٣، ص ٢٨.

(٣) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٢٩.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر الأنباري، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار كنان، دمشق، ص ٢٠٦.

(٥) شرح ديوان عنتر بن شداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ص ٤٢.

وَلَوْلَا سَيِّدٌ فِينَا مُطَاعٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ مُرْتَفَعُ الْعِمَادِ

ووردت المادة التي اشتق منها اللفظ في القرآن الكريم وعلى وزن فعيل "عظيم" في آيات كثيرة، إذ وصف الله تعالى العظيم في قوله تعالى: «ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم»^(١)، ووصف عذابه بالعظيم «وأولئك لهم عذابٌ عظيم»^(٢)، والفوز العظيم (ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم)^(٣)، ووردت بصيغة اسم التفضيل "أعظم" «أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا»^(٤).

ووردت في الحديث الشريف بصيغة "عظيم" في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم في كتابه صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل "عظيم الروم"^(٥). وورد اللفظ بصيغة "عظيم" أيضاً في رسائل النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط^(٦)، وإلى كسرى عظيم فارس^(٧)، وإلى النجاشي عظيم الحبشة^(٨).

واشتق اللفظ من مادة (عَظُمَ)، وهي صفة مشبهة على زنة (فَعَلَ) إذ العين والطاء والميم أصل واحد يدل على كبر وقوة، ومن الباب (العظم) سمي بذلك لقوته وشِدَّتِه^(٩)، وعرفت هذه المادة في بعض اللغات السامية، فهي (عصمتو) في الآشوري البابلي،

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٢.

(٤) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ص ٦.

(٦) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله، ط ٤، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٣٥.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٤٠.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٠١.

(٩) معجم مقاييس اللغة، مادة عظم.

و(عيصم) في العبري، و(عظما) في الآرامي، و(عظم) في لغات جنوب الجزيرة والحبشة^(١)، وعلى الرغم من وجود حالات إبدال من حروفها في هذه اللغات إلا أن الأصل الثلاثي لها واحد.

والعظيم خلاف الصغير، وعَظْمَةُ الذراع مُسْتَغَلَّظُهَا، والعَظْمَةُ من الساعد ما يلي المرفق الذي فيه العضلة، والعظم الذي عليه اللحم، قال تعالى: (فَخَلَقْنَا الْمُنْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا)^(٢)، وعَظْمُ الْفَدَانِ، لوحه العريض الذي في رأسه الحديد الذي تشقّ بها الأرض. والتعظيم التبجيل، وعَظَمَاتُ الْقَوْمِ سَادَتُهُمْ وَذُو شَرَفِهِمْ^(٣)، وفي دوزي العظمة: الكرامة، والشرف. واللقب الذي يطلق على الشريف ذي المكانة، والفخم والجليل^(٤).

ومن ملاحظتنا لمعاني (عَظُمَ) في الاشتقاقات السابقة، نجد أنها تدور حول أصل واحد، وتعني القوة والكبر والشدّة، ومنه العظم الذي عرف بذلك لقوّته وشدّته، ثمّ انتقلت دلالة الكلمة لتشير إلى بناء آخر، في مخاطبة الملوك والسلّاطين وذوي الجاه لتعبّر عن مركزهم وقوّتهم. فالمعظم من يكون له مجد يسير به من الحاضر إلى المستقبل، وتطلق في الوقت الحاضر على الملك المعظم، والسّلطان المعظم، متصلة بها أُل التعريف.

والغالب ألاّ يستخدم منها المصدر أو اسم التفضيل مثل "فخامة، أفخم"، فالمعظم الأصل منه "عَظُمَ"، ثمّ شدّد حرف الظاء، وبالتشديد التأكيد على التبجيل، ثمّ اشتقّ منه

(١) الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠، ص ١٩٢؛ وانظر تاريخ اللغات السامية، ص ٢٥٠؛ وانظر بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، علي رؤوف سيد مرسي، ط ١، ١٩٨٨، مطبوعات جامعة الكويت، ص ١٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٣) اللسان، مادة (عظم).

(٤) دوزي، مادة (عظم)، ج ٧، ص ٢٤١.

اسم المفعول "المُعَظَم" للدلالة على التوقير والاحترام، وكان اشتقاقه بزيادة الميم، وتشديد الظاء.

فالميم صوت شفوي أنفي مجهور، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ذات القوة الإسماعية العالية، تزداد في أول الوحدة اللغوية شريطة أن يأتي بعدها ثلاثة من الأصوات الأصلية في البناء، وتكاد تشمل نسبة عالية من الموروث الصيغي في العربية ومنها اسم المفعول^(١). فالزيادة في بنية الكلمة تؤدي إلى زيادة في المعنى، وطول الكلمة أو قصرها في الأصوات قد توحى بمعنى خاص. يقول إبراهيم أنيس: "لله درّ القدماء من علماء العربية حين قرروا قاعدتهم المشهورة، زيادة المبنى يتبعها زيادة المعنى، وبرهنوا عليها في كتبهم بظواهر لغوية كثيرة منها: أن تضعيف عين الفعل قد يعبر عن المبالغة في الحديث، ونلاحظ هذا في (كَسَرَ، كَسَّرَ) وغير ذلك من كلمات كثيرة زيد في مبناها للمبالغة في معناها"^(٢). ويبدو أن في هذا التشديد مبالغة.

وأطلق لقب السلطان الأعظم على كثير من الأسر مثل سلاطين غزنة، حيث أطلق على محمود الغزنوي في نص سنة ٤٢١هـ، وأطلق على السلاجقة لقب السلطان المعظم على ألب أرسلان في نقش سنة ٤٥٩هـ^(٣)، وأطلق لقب "المعظم" على ملوك الفرنج زمن الدولة الأيوبية، حيث كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى بردويل أحد ملوك الفرنج: "خص الله الملك المعظم"^(٤).

(١) علم الصرف الصوتي، ص ٨٥.

(٢) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط ٥، ١٩٧٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٤٨.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص ٣٣٠.

(٤) صبح الأعشى، ج ٧، ص ١١٥.

واستخدم اللفظ في عصر المماليك مضافاً إلى مفاهيم أخرى بإضافة الصفة إلى الموصوف، كما في "معظم بيت المقدس"، وأطلق على ملوك المسيحيين؛ لأن من عقائد المسيحيين تعظيم بيت المقدس فجعلوا اللقب من ألقاب ملوكهم، وقد يزدون فيقولون معظم البيت المقدس بعقد النية". وورد "معظم كنيسة صهيون"، وهو من ألقاب ملك الحبشة، وصهيون هي كنيسة بطرك اليعاقبة ومكانها الإسكندرية^(١).

ووجد نقش وحيد في مصر يحمل "السلطان المعظم" من المؤيدية، ونظراً لأن اللقب بهذه الصفة لم يطلق على أحد من المماليك، فيظن أن هذا الأثر قد حمل إلى مصر على يد المؤيد شيخ أثناء خروجه مع محمد الكرمانلي الذي ورث فيما ورث هذا اللقب ضمن آثارهم.

ويستدل من ذلك أن لقب "المعظم" لم يتلقب به سلاطين المماليك، إنما كان من ألقاب ملوك المغرب، ومن ألقاب أهل الكفر، كما يذكر القلقشندي. وأمّا صيغة المؤنث "المعظمة"، فهي من ألقاب نساء الفرنج في عصر المماليك، وهو أحد الألقاب الدالة على العظمة التي كان على ديوان الإنشاء أن يضيفها على الجليلات من النساء^(٢).

ولم تتغير دلالة اللفظة في العصر الحديث، فهي تطلق تبجيلاً وتعظيماً على الملك والسلطان، وتطلق بصيغة المؤنث "المعظمة" على الملكة، وقد تنسب العظمة إلى سلطان أو ملك، فيقال "صاحب العظمة"، وهو لقب ملك البحرين التي أصبحت مملكة فيما بعد. وتطلق في الأردن على أصحاب السموّ الأمراء، فيقال: "صاحب السموّ الملكي... المعظم"، "وصاحبة السموّ الملكي... المعظمة".

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٩٣.

(٢) الألقاب الإسلامية، ص ٤٧٨.

- المَقَام:

جاء في صبح الأعشى "المَقَام بفتح الميم من الألقاب الخاصة بالملوك، وأصل المقام في اللغة اسم لموضع القيام آخذاً من قام يقوم"^(١). وقد يكون مصدراً ميميّاً، أو اسم زمان على زنة (مَفْعَل).

وورد اللفظ في الشعر الجاهلي، قال زهير بن أبي سلمى يمدح سنان بن أبي حارثة^(٢):

وفيهـمُ مَقاماتٌ حسانٌ وجوهـهُـمُ — وأنديةٌ يَنتابُها القولُ والفِعـلُ
قوله مقامات جمع مقامة من أقام، بمعنى المجلس العالي، وقد تكون مصدراً ميميّاً صقّة لموصوف محذوف.

ووردت بضم الميم، قال الأعشى^(٣):

فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعَلَّمَ — نَ يَوْمَ المَقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنَ —
فهي بمعنى الإقامة من إقام.

وورد اللفظ في القرآن الكريم بفتح الميم وبضمّها في كثير من الآيات الكريمة، قال تعالى: «واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ»^(٤)، و «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ»^(٥)، وإذ قالت طائفة منهم يا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا»^(٦)، «الذي أحلنا دار المقامة من فضله لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ»^(٧).

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩٣.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٨٧.

(٣) ديوان الأعشى، ص ١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

(٥) سورة الدخان، الآية ٥١.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ١٣.

(٧) سورة فاطر، الآية ٣٥.

وورد اللفظ في الأحاديث الشريفة، إذ ورد اسماً لمكان في صحيح البخاري "قَدِيم النبي ﷺ، فطاف بالبيت سبعا، وصلى خلف المقام ركعتين، ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى الصفا"^(١)، وورد أيضاً في حديث النبي ﷺ عن يوم القيامة قوله "فيقال ارفع رأسك وسل تعطّ واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً"^(٢)،

واشتقّ اللفظ من مادة (قَوَمَ) وهو اسم مكان على وزن (مَفْعَل)، إذ الأصل فيه مَقُوم magwam، حيث تشكّلت حركة صاعدة (wa) وفي ذلك صعوبة في النطق، فأسقطت نواة الحركة (w) فأصبحت magam، ثم أُطيلت شبه الحركة (a) فأصبحت magam .

ومادة (قَوَمَ) مادة سامية قديمة تدلّ على الثبات والاستقرار، ومنه جاء في العبرية (kum) بمعنى وقف، ويدلّ الفعل على السكون والاستقرار في المكان^(٣).

ومن معاني هذه المادة: القيام، وهو نقيض الجلوس، والقائم وهو الثابت بمكانه لا يتقدّم ولا يتأخّر، والمقام الموضع الذي يقيم فيه، والمقامة بالضمّ الإقامة، وبالفتح المجلس، والجماعة من الناس. ومقامات الناس مجالسهم، والمقامة "السّادة"، ومن المقامة بمعنى المَجْلِس جاءت لفظة المَقَامَة بمعنى القصة، ومن معنى العدل والاستقامة جاء تقويم الشيء أي تقدير ثمنه، والقَوَام العدل ومنه اشتقّت القِيَامَة وهو يوم البعث وهو تعريب قَيْمَتًا، وهي بالسريانية بهذا المعنى^(٤).

(١) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٦٦.

(٢) الإسراء، الآية، ٧٩، وسنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٨، حديث رقم ٣١٤٨.

(٣) المولد، ٣٨٥ نقلاً عن Gesenius 877 .

(٤) اللسان، مادة (قَوَم).

وعند دوزي، المقام: رتبة ومنصب، والمقام: السلطة والسيادة والرئاسة والتشريف، ولقب يطلق على السلاطين والملوك^(١). ويمكن أن تكون مصدراً ميمياً أو مقام الملك العالي.

والاشتقاقات كلها تعود إلى المعنى الأصلي وهو الثبات والاستقرار في مكان مل ومن المعنى الأصلي جاءت الدلالة المعنوية لتدل على القيمة المعنوية للحاكم^(٢). والمقام من مصطلحات الموسيقى وهو درجة الصوت، ومقام الصوت درجة ارتفاع الصوت في اللحن، ومقام الميت الضريح^(٣).

وفرّق بين المقام بالضمّ، والمقام بالفتح، فقل "بضم الميم يكون مصدراً من أقام يقيم؛ أي لا إقامة أو موضعاً يقيمون فيه، ومن فتح فهو اسم مكان أي لا موضع لكم تقيمون فيه^(٤). ويمكن أن تكون اللفظتان مصدراً ميمياً

وقرئ "يا أهل يثرب لا مقام لكم" بالفتح والضمّ على المعنيين، قال الجوهري^(٥): وقد يكون المقام بالفتح بمعنى الإقامة، والمقام بالضمّ بمعنى موضع القيام وجعل من الثاني قوله تعالى ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾^(٦)، أي موضعاً.

والذي يستعمله الكتاب في "المقام" بالفتح خاصة، كما يقول القلقشندي، يكنّون بذلك السلطان تعظيماً له عن التفوّه باسمه، فيقال "المقام العالي" و"المقام الشريف"^(٧).

(١) دوزي، مادة قوم، ج ٨، ص ٤٢٥.

(٢) المرجع نفسه، مادة قوم.

(٣) نفسه، مادة قوم.

(٤) تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ١٤٨.

(٥) الصحاح، مادة قوم.

(٦) سورة الفرقان، الآية ٧٦.

(٧) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩٤.

وكان يطلق اللقب المقام على انخليفة بصيغة الجمع "المقامات الشريفة"، وقد جله ذلك إثر احتجاب الخلفاء في عصر بني بويه الذين استبدّوا بالسلطة، وأسندوا أمر المكاتبات إلى وزرائهم الذين حرصوا على الإشارة إليهم بالكنائيات المكانية^(١).

ويورد القلقشندي قولاً لصاحب ذخيرة الكتاب ابن حاجب إنعمان، ينتقد فيه هذا التحول "وليت شعري أي شيء قصد من كنى أمير المؤمنين بهذه الكنائيات، وبدل نوعته وصفاته المَعظَمة المَكْرَمة بهذه الألفاظ المحقّرات"، ويقول "كيف يجوز أن يُكنّى عن الجمادات، بما يكنّى به عن الإنسان الحيّ، الناطق الكامل الصفات"^(٢). ويشير إلى أنّ هذه التسميات لم تُعرف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم ولا في عهد الصحابة من بعده^(٣).

وأقدم الأمثلة لاستعمال اللقب بصيغة الإفراد "المَقَام"، جاءت في العصر الفاطمي، فقد أطلق ابن الصيرفي في كتابه الإشارة على الوزير الفاطمي أبي عبد الله محمد بن نور الدولة لقب المقام الأعظم^(٤).

واستعمل لقب "المَقَام" في عصر صلاح الدين، فقد كتب القاضي الفاضل رسالة تهنئة إلى السلطان، بمولود له جاء فيها "المملوك يقبل الأرض بالمَقَام العالي الناصري"^(٥). وظلّ اللقب محتفظاً بمنزلته في الدلالة على السلطان حتى عصر المماليك؛ إذ أطلق لقب "المَقَام العالي" على الظاهر بيبرس في التقليد عن الخليفة بالسلطنة^(٦).

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٩٢.

(٤) الألقاب الإسلامية، ص ٤٨٢.

(٥) صبح الأعشى، ج ٧، ص ٩٠.

(٦) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٧٢٦.

ولم يقتصر استعمال لقب المقام على السلاطين في عصر المماليك، بل استعمل لولاة العهد بالسلطنة، ولبعض الأمراء والملوك^(١).

ومن الصفات التي تلي هذا اللقب: المقام الشريف، والمقام الأشرف، والمقام العالي، ونتيجة لإطلاق لقب المقام، والمقام العالي على ولاة العهد لأبناء السلاطين، مال الكتاب إلى إطلاق لقب المقام الشريف على السلطان حتى نهاية العصر المملوكي^(٢).

وأما ألقاب المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، فأعلاها المقام الأشرف والمقام الشريف كألقاب صاحب الهند، والمقام الشريف كألقاب صاحب بغداد، والمقام العالي كألقاب بلاد أذربك^(٣).

وأما "المقام" في العصر الحاضر، فهو من الألقاب المستخدمة في مخاطبة الملوك والسلاطين مضافاً إليها "السامي" زيادة في التعظيم، فدلالة المصطلح لم تتغير عما كانت سائدة عليه في عصر المماليك وما قبله، إلا أنه يلاحظ أنه لا تنعت "بالشريف أو العالي" وإنما يضاف إليها السامي، مع أن السامي لفظ حذر من استعماله الكتاب كما ورد سابقاً، وكانت أرفع رتبة تضاف إلى المقام هي الشريف. وتستعمل اللفظة لأغراض أخرى مثل: الناس مقامات، وتطلق على الأضرحة، فيقال: مقامات الصحابة، ولكل مقام مقال.

- المقر:

جاء في صبح الأعشى "المقر من أجل ألقاب السلطان"، وورد أيضاً "المقر لقب شرف يمنحه السلطان لكبار أرباب الوظائف الديوانية، وكذلك ينعم به السلطان على الأمراء"^(٤). فالمقر موضع الاستقرار، والجمع مقر^(٥). اسم مكان على وزن (مفعَل).

(١) الألقاب الإسلامية، ص ٤٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٨٤.

(٣) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٩٤.

(٥) اللسان، مادة قرر.

وورد اللفظ دلالة على المكان في الشعر الجاهلي، قال قيس بن الخطيم^(١):

وإن ضيَّع الإخوانُ سرّاً فإنّني كتومٌ لأسرارِ العشيرِ أمينٌ
يكونُ لَهُ عِنْدِي إذا ما ضمنتُـهُ مقرٌّ بسوداءِ الفؤادِ كَنِينُ

وقال عامر بن الطفيل^(٢):

ترعى فزارةً في مقرٍّ بلادِهِـا وتهيمُ بينَ شقائقِ ورمالِ

ومن الاشتقاقات لهذه المادة التي وردت في القرآن الكريم، قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(٣) بمعنى الاستقرار، «وَلَكِنْ انْظُرِي إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوِّفَ تَرَانِي»^(٤) بمعنى الثبات، «وقالت امرأةُ فرعونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَآلِكَ»^(٥) بمعنى الاطمئنان والسكون. فجميع المعاني التي وردت في الآيات الكريمة السابقة وغيرها من آيات تحمل معنى الاستقرار وسكون النفس والاطمئنان.

وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري عن العزل، أن النبي صلى الله عليه وسلم، سئل عن ذلك فقال: أنت تخلقه أنت ترزقه أقره قراره أو مقره فإنما هو القدر^(٦). وفي رواية أخرى "أنت ترزقه فأقره مقره، فإنما كان قدر"^(٧).

واشتق اللفظ من مادة (قرر) وتأتي على معانٍ متعدّدة، فالقرُّ: البرد. والقرُّ: القرار في المكان، والقرار "المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء، ويوم القرّ هو اليوم

(١) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل، ص ٨٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٥) سورة القصص، الآية ٩.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط ٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ج ٣، ص ٧٨.

(٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٦.

الذي يلي عيد النحر، سُمِّيَ بذلك لأنَّ الناس يقرون فيه، ومقرَّ الرحم آخرها، ومقرَّ الثوب طيُّ كسره^(١)، والمقرُّ موضع وسط كازمة به قبر غالب أبي الفرزدق، قال الراعي النميري^(٢):

فَصَبَّحَنَ الْمَقَرَّ وَهُنَّ خُوصٌ عَلَى رُوحٍ يُقَلِّبَنَّ الْمَحَارَا

وقيل: المقرُّ جبل لبني تميم^(٣). وفي دوزي: "المقر" لقب يطلق على السادة، مثل: سمو، وسعادة^(٤). ويستدل من الاشتقاقات السابقة أنَّ المعنى العام الذي تدور حوله هذه اللفظة هو الاستقرار والسكون، ويلاحظ الانتقال الدلالي لهذه اللفظة من دلالة للمكان إلى دلالة معنوية لقباً تفخيمياً يخاطب به الملوك والسلاطين؛ لأنَّ الذي يتوجَّه إليهم بحاجته، أو يجالسهم، فإنَّه يشعر بالاستقرار والاطمئنان.

وأقدم إشارة للفظ "المقر" لقباً، هي التي يوردها ابن شيث في معالم الكتابة: "والذي يخاطب به السلطان المقام، والمقرَّ الأشرف"^(٥)، إذ استعير "المقرَّ" في المكاتبات للإشارة إلى صاحب المقام تعظيماً عن التفوّه باسمه كما في المقام. ويعلّق القلقشندي على ما ذكره ابن شيث بقوله: "جعله ابن شيث من الألقاب الملوكية كالمقام، وجعلهما على حد واحد، وأصله في اللغة لموضع الاستقرار والمراد الموضع الذي يستقر فيه صاحب ذلك اللقب، وهو من الخاص الذي استعمل في العموم، إذ يجوز أن يقال فلان

(١) اللسان، مادة (قرر).

(٢) ديوان الراعي النميري، جمع وحققه داينهرت فاييرت، إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار النشر: فرانتس شتايز بقيسبادن، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٤٦.

(٣) اللسان، مادة (قرر).

(٤) دوزي، مادة (قرر)، ج ٨، ص ٢١٠.

(٥) معالم الكتابة، ص ٥٨.

مقرّه محلة كذا، وبلده كذا، كما يقال: مقامه محلة كذا، وبلد كذا^(١). ولكن المحل للعامة، والمقرّ للخاصة، وكأنّها تسعى إلى التخصيص الدلالي.

وظلّ اللقب من اختصاص السلطان حتى أواخر القرن السابع، فقد أطلق لقب "المقرّ العالي" على المنصور قلاوون في العهد إليه بالسلطنة سنة ٦٧٨هـ، وكان ذلك من إنشاء القاضي محيي الدين عبد الظاهر^(٢).

ومما له دلالتة، أنّ الأمثلة المعروفة لاستعمال لقب "المقرّ" لسلطين المماليك لا تعدو مثلاً واحداً، وهو استعماله في العهد إلى المنصور قلاوون^(٣).

وسرعان ما انخفضت دلالة اللقب "المقرّ" فاستعمل لكبار الأمراء والعسكريين، كما استعمل للمدنيين من الوزراء، وأجاز القلقشندي استعماله لأصحاب الوظائف الدينية ومشايخ الصوفيّة^(٤). وأمّا السلطان، فقد ظلّ لقب "المقام" مختصاً به.

وكان اللقب يستعمل في مخاطبة بعض الملوك، إذ أورد القلقشندي بعض الأمثلة، كما في مخاطبة (صاحب هراة)، وصاحب كرمينان من بلاد الروم^(٥). وأمّا الصفات التي تلحق باللقب، فمنها الأشرف، والشريف، والعالي، والكريم^(٦).

ويتّضح ممّا سبق أنّ لقب "المقرّ" قد أصابه انحطاط دلالي في عصر المماليك، إذ أطلق في بدايات العصر على السلطان المنصور قلاوون، ولم يتلقّب به أحد غيره من

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١١٦-١١٨.

(٣) الألقاب الإسلامية، ص ٤٨٩.

(٤) صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٤٦-١٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٢٧.

(٦) نفسه، ج ٥، ص ٤٥٩.

السلطين، ثم انحطت دلالة اللقب، حتى أصبح يستعمل للأمرء والوزراء وأصحاب الوظائف الدينية ومشايخ الصوفية كما ورد سابقاً.

أمّا في العصر الحديث، فقد استخدمت هذه اللفظة في الأردن للدلالة على مقر إقامة جلالة الملك عبد الله الأول، إذ وردت اللفظة في المخاطبات الموجهة إلى جلالته، فوردت بصورة "المقر" "صاحب السمو الملكي أمير البلاد المفدى" ^(١)، ووردت موصوفة "بالعالي" "صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم / المقر العالي" ^(٢)، ووردت مضافة "المقر الأميري" ^(٣)، وهي بهذا الاستعمال مماثلة للديوان الملكي المستخدمة حالياً.

وترتبط هذه اللفظة الآن بمكان إقامة الملوك والزعماء والأمراء، وكبار السياسيين، فيقال "مقر إقامته"، وفي هذا دلالة على أن اللفظ له قيمة دلالية.

يتضح ممّا سلف في معرض الحديث عن الألقاب التبجيلية استمرارية الدلالة لبعض الألفاظ، مع توسّع في المعنى، كما يبدو هذا في ألفاظ: الحضرة، والسيد، والشريف، وثمة لفظان قد أصابهما رقي في الدلالة وهما: الملك، والسامي، وتمثل الانتقال الدلالي في لفظ الأفخم من مخاطبة الملوك في عصور سابقة، إلى مخاطبة رؤساء الدول أو الحكومات الآن. والاستقرار الدلالي اللفظي: المقام، والمعظم في مخاطبة الملوك، ولوحظ إحياء لبعض الألفاظ التي هُجرت وأعيد استعمالها كما في لفظي: خادم الحرمين الشريفين، والشريف. وهناك لفظ حدث توسّع في دلالاته وهو لفظ المقر.

(١) الوثائق الهاشمية / أوراق عبد الله بن الحسين، المجلد الأول، ص ١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٩٥.

(٣) نفسه، ص ٤٤.

الفصل الثالث

ألفاظ خاصة بالسلطنة

يتناول هذا الفصل مجموعة من الألفاظ الخاصة بالسلطنة، من مثل: الديوان، والحاجب، والطُغرى، والخاصكية، وغيرها. ويمكن الإشارة هنا إلى منهج الدراسة في هذا الفصل ستختلف نوعاً ما عما سبقه من فصول؛ وذلك من حيث إن هناك بعض الألفاظ منقولة عن الأعجمية، وسأجتهد في إعادتها إلى الأصل العربي ما أمكن.

- الحَاجِب:

جاء في صبح الأعشى: "الحاجب هو في أصل الوضع عبارة عمّن يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام، ويأخذ لهم الإذن منه، وهي وظيفة قديمة الوضع لابتداء الخلافة"^(١).
والحَاجِب اسم فاعل اشتق من مادة "حَجَب"، صفة غالبية على البواب، وجمعها حَجَبَه وحُجَاب^(٢)، وورد اللفظ واشتقاقه في الشعر الجاهلي، ومن ذلك ما جاء في قول النابغة الذبياني^(٣):

يَطِيرُ فُضاضاً بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ وَيَتَّبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَّاشُ الْحَوَاجِبِ

وفراش الحواجب: عظام رفاق تحت الحواجب.

ووردت بصيغة محجَّب، وتعني باب الملك، ويبدو ذلك في قول لبيد بين ربيعة^(١):

نَشِينُ صِحَاحِ الْبَيْدِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَعُوجِ السَّرَّاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّجٍ

وقال قيس بن الخطيم^(٢) يذكر لفظ الحاجب صريحاً، التي بمعنى الجانب:

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) اللسان، مادة حجب؛ تاج العروس، مادة حجب.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وعلّق عليه محمد بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦، ص ٤٧.

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ

ومن اشتقاقات اللفظ في القرآن الكريم الحجاب، وتعني الستر والمنع، ويبدو ذلك في قوله تعالى: «وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يُعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ»^(٣)، وقوله تعالى: «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا»^(٤).

وفي الحديث النبوي الشريف قال صلى الله عليه وسلم: "إِذَا بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخْرُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخْرُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ"^(٥)، والحاجب في الحديث بمعنى ناحية منها. وقال صلى الله عليه وسلم: "لَيَقْفَنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ وَلَا تَرْجَمَانٌ"^(٦).

فالدلالة الأصلية للفظ، وهي البروز العظمي الذي يعلو العين ويحميها، ثم انتقلت لتدل على عموم المنع والستر، حَجَبَ الشَّيْءَ يَحْجِبُهُ حَجْبًا، وَحَجَابًا، وَحَجْبُهُ، سِتْرُهُ، فَالْحِجَابُ هُوَ كُلُّ مَا حَالَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، وَمَا أَشْرَفَ مِنَ الْجَبَلِ، وَلَحْمَةٌ رَفِيعَةٌ بَيْنَ الْجَنْبَيْنِ، وَالْحِجَابُ أَنْ تَمُوتَ النَّفْسُ وَهِيَ مُشْرَكَةٌ، كَأَنَّهَا حَجَبَتْ بِالْمَوْتِ عَنِ الْإِيمَانِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ^(٧).

ومن اشتقاقات اللفظ أيضاً الحجبُ في الميراث، فالإخوة يحجبون الأمَّ عن الثلث إلى السدس^(٨)، وتطوّرت دلالة اللفظ إلى معنى الحفظ، ومنه جاء لفظ الحاجبين: العظميين اللذين فوق العينين بلحمهما وشعرهما، والجمع حواجب، فهما يحميان العين ويدافعان عنها.

(١) شرح ديوان ليبيد بن ربيعة، ص ١٩.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم، ص ٧٩.

(٣) الأعراف، الآية ٤٦.

(٤) مريم، الآية، ١٧.

(٥) صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٨٠.

(٦) صحيح بخاري، ج ٢، ص ١١٣.

(٧) اللسان: مادة (حجب).

(٨) اللسان، مادة (حجب).

وجاء لفظ الحجابة بمعنى حفظ الكعبة وحمايتها^(١)، ثم تطوّر اللفظ ليدلّ على منصب له علاقة بالخلفاء والحكّام، فيقال: حاجب الأمير أو الخليفة؛ الذي يمنع دخول النّاس إلّا بعد إذن الخليفة. فقد كان الخلفاء الراشدون لا يمنعون أحداً من الدخول عليهم، بل كانوا يخاطبون النّاس على اختلافهم بلا حجاب، إلّا أنّ القلقشندي يذكر نقلاً عن عيون المعارف للقضاعي أنّ للخلفاء الراشدين حُجَاباً^(٢).

والمؤكّد أنّه لما انتقل الحكم إلى بني أميّة، اتّخذ معاوية الحجاب بعد حادثة الخوارج، ثمّ سار الخلفاء على نهجه، وذلك خوفاً على أنفسهم^(٣). وعرف العبّاسيون نظام الحجابة، فاتخذوا الحاجب في منع النّاس عن لقاء الخليفة إلّا في الأمور المهمّة، وعلت مرتبته فأصبح يُستشار في كثير من أمور الدولة^(٤). فهو موظّف كبير يشبه كبير الأمناء في أيّامنا^(٥). وكان للحجاب رئيس يسمّى حاجب الحجاب، وكان إذا أبدى كفاية في عمله ينقل إلى رتبة أعلى^(٦). وزمن الدولة الفاطميّة أطلق على الحاجب صاحب الباب، وكانت مهمّته في العصر الفاطمي حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه وهي المهمة السابقة نفسها^(٧)، واستمرّ من بعدهم في عهد الدولة الأيوبيّة^(٨).

(١) اللسان، مادة (حجب).

(٢) صبح الأعشى، ج ٥، ٤٤٩.

(٣) الكامل في التاريخ، عزّ الدين أبو الحسن الشيباني، المعروف بابن الأثير، مجلد ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٤٥٢؛ وانظر: مقدّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، نسخة محقّقة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٣٥.

(٤) مقدّمة ابن خلدون، ٢٣٢.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، ط ٧، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٦) تاريخ العراق في العصر العبّاسي، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٧) صبح الأعشى، ج ٣، ٢٨٣.

(٨) المصدر نفسه، ج ٥، ٤٤٩.

وأما في عهد المماليك، فقد عظم أمر الحجابة، حتى أصبحت في مرتبة نيابة السلطنة، وانتقلت إلى من يشغلها اختصاصات النائب عندما ألغى السلطان الناصر محمد هذا المنصب سنة ٧٢٧هـ^(١).

ولم تقتصر مهمة الحاجب في ذلك العصر على إدخال الناس على السلطان، بل صار يقضي بين الأمراء والجند، إما بنفسه أو بعد استشارة السلطان، وكان يقف أحياناً بين يدي السلطان في المواكب ليبلغه رغبات رعيته، كما كان يركب أمامه وهو يحمل عصا، وكان ينظر في المظالم^(٢).

وكانت الحجابة في الدولة الأموية بالأندلس رفيعة ومهمة، وهي تشبه منصب رئيس الوزراء في الوقت الحالي، يقول ابن خلدون "وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم، فكانت في دولتهم رفيعة غاية، كما تراه في أخبارهم"^(٣).

في دول المغرب العربي وإفريقية، لم يكن فيهما ذكر لهذا الاسم؛ لأن هذه الدول تميزت بالبساطة على ما يذكر ابن خلدون^(٤). ويتضح الرقي الدلالي لهذه اللفظة في العصر العباسي والفاطمي وفي عهد المماليك، وفي الدولة الأموية في الأندلس.

وأما في العصر الحديث، فأصبحت صفة غالبية تدل على البواب^(٥).

ويلاحظ مما سبق بأن دلالة الحاجب كانت تدل في الأصل على النتوء الذي يعلو العين ويحميها من الأعلى، ثم أخذت هذه الحماية للعين للدلالة على حماية الرجل الأول وهو الوالي أو أمير المؤمنين.

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ٢١٩؛ ج ٥، ٤٥٠.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ٢٣٣، ٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ٢٣٣، ٢٣٤.

(٥) المعجم الوسيط، مادة (حجب).

وكانت في هذه المرحلة تمثل رقي دلالة حاجب، ثم تدنّت دلالتها في بعض العصور، وأصابها البلى في الوقت المعاصر، فلا تكاد تذكر إلاّ للدلالة الأصلية وهي النتوء الذي يعلو العين، أو البواب. ويلاحظ الانحطاط الدلالي لهذه اللفظة في العصر الحاضر عمّا كانت عليه في عصور سابقة.

– الخاصكيّة:

جاء في حديث القلقشندي عن خواص الخليفة في العصر الفاطمي قوله: "صبيان الخاص هم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة منهم أمراء وغيرهم ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية في زماننا"^(١).

والخاصكيّة: كلمة مركّبة وهي في الفارسية "خاصكي" بالجيم الفارسية الثقيلة (?) وأصلها من معنى الخاصة العربية، اسم الفاعل من "خصّ" مع هاء التانيث "وكي" الفارسية، وهي لاحقة يكون في إلحاقها أنّ الكلمة مركّبة معها تعطي ما هو مصدر، وإن صرفت إلى غير المصدر^(٢). ويفهم من ذلك، أنها تعطي دلالة المصدر مع أنها اسم فاعل.

وورد اشتقاق اللفظ في القرآن الكريم، قال تعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»^(٣).

وفي الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلّم: "فلا يسقون منه، لأنّ الحوض لهذه الأمة خاص دون سائر الأمم"^(٤).

فالخاص لغة ضد العام، يُقال خصّه بالشيء يخصّه خصّاً وخصوصاً وخصوصة وخصوصية، والفتح أفصح، وخصّ فلان بالأمر أفردّه به دون غيره، والخاصة خلاف العامة،

(١) صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٢) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، معجم ودراسة إبراهيم السامرائي، ط ١، مكتبة لبنان، ١٩٩٧، ص ٢٠٤.

(٣) الأنفال، الآية ٢٥.

(٤) صحيح ابن حبان، ج ١٤، ص ٣٦٠.

والخاصة الذي اختصصته لنفسك^(١)، والخاص اصطلاحاً هو اللفظ الدال على فرد لا يشترك غيره معه^(٢).

"وخاصة الشيء ما لا يوجد بدون الشيء، والشيء قد يوجد بدونها، كما الألف واللام لا يوجدان بدون الاسم، والاسم يوجد بدونهما كما في زيد"^(٣). فوجود خاصة السلطان مرتبط بوجود السلطان، فلولا وجود السلطان لما وجدت خاصته. والخاصة لقب الأمير أبي الحسن فائق بن عبد الله الأندلسي لاختصاصه بالسلطان الأمير السيد أبي صالح منصور والي خراسان^(٤).

وكانت تعرف في العصر العباسي باسم الخواص، ومفردها خاصة وخاص، وقد عرف مثل الخاصكي في الدولة الغزنوية باسم خاصة خادم. ويرى حسن الباشا، أن مثل هذه الألفاظ حُرِّفت في عصر المماليك إلى خاصكي، ويبدو أنه كان هناك خاصكية من النساء، وربما كان هؤلاء بمثابة الوصيفات^(٥). وعُرف الخاصكية في عصر الفاطمية، وأطلق عليهم اسم "صبيلن الخاص"^(٦). وعرفوا في الدولة الأيوبية على ما ذكره القلقشندي "وفي هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شباك حديد محكمة الصفة، يُصَلِّي فيها السلطان، ومن معه من أخصاء خاصكية يوم الجمعة"^(٧).

(١) اللسان، مادة (خصص).

(٢) الموسوعة الإسلامية الميسرة، المشرف العام محمود عكام، دار صحارى، دمشق، ج ٥، ص ٩٧٦.

(٣) كتاب التعريفات، ص ١٠٧.

(٤) تاج العروس، مادة خصص.

(٥) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٦) صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧.

وكانت الخاصكية في العصر المملوكي من أهم طوائف المماليك السلطانية، فهم الذين يختارهم السلطان من المماليك الذين تولى تربيتهم منذ الطفولة، وإنما عرفوا بذلك الاسم لأنهم كانوا يلزمون السلطان في خلواته، وأوقات فراغه، وينالون من خيره وعطاياه^(١).

وقد وصف القلقشندي هذه الطائفة من المماليك بأنها كانت عند السلطان "أعظم الأجناس شأنًا، وأرفعهم قدرًا، وأشدّهم إلى السلطان قربًا، وأوفرهم إقطاعًا"^(٢). وكان الخاصكية يظلون معظم النهار وجانبًا من الليل في خدمة القصر السلطاني، ومن هنا جاءت تسمية رئيس المماليك السلطانية جميعاً ومنهم "الخاصكية" باسم رأس نوبة، وبلغت درجة قربهم من السلطان مبلغاً كثيراً حتى إنهم كانوا يدخلون عليه بدون استئذان^(٣).

وللدلالة على أهميتهم في هذا العصر أنه كان يكتب إليهم في قطع التلثين من الورق، وهو ما يكتب به لأعلى المراتب من الأمراء، ولأولاد السلطان، وللخاصكية^(٤).

والخاصكية جمع مفردة "خاصكي" وهو قياس إبداعي كما يقول البدرائي زهران فرضه الاستعمال والواقع الاجتماعي ليعبر عن ظاهرة دلالية مطلوبة^(٥). وهو منسوب إلى الخاص "ويستخدم قبل ياء النسب "كافاً" زائدة لتعطي نوعاً من الدلالة أيضاً على نحو ما ينسبون إلى الخاصكية. فقالوا: الخاصكي للدلالة على قسم من المماليك يختارهم السلطان والجلبان الذين دخلوا في خدمته صغاراً وجعلهم حرسه الخاص^(٦). وتشيع زيادة الياء في كثير من المفاهيم والمصطلحات، ومن ذلك: عربنجي، وكندرجي، وموسرجي.

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريرية، تقي الدين أحمد بن علي المقريري، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط ١، ج ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٢١٦.

(٢) صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٥٥.

(٤) نفسه، ج ١٣، ص ١٥٨.

(٥) في علم اللغة التاريخي، ص ٢٢٧.

(٦) علم اللغة التاريخي، ص ٢٨٩.

وربما تكون الخاصكية كلمة منحوتة ويقصد بها "خاصة الملك" فأتي بكلمة خاصة وجيء بالكاف للدلالة على الملك، فقليل خاصكية وبإضافة ياء النسب. فتكون الخاصكية لفظة منحوتة، وهو نهج لغوي عربي مألوف.

ويعرف الخاصكي في الفارسية على أنه نديم الملك والمقرّب، والخازن^(١).

وعرفت هذه الطائفة في العصر العثماني، ولكن باسم "الحرس الخاص للسلطان"، وهي طائفة عسكرية تأسست سنة ١٥٥٤ من المماليك، ثم انتسب إليها أناس جلبوا من اسطنبول، ومنح أفرادها امتيازات خاصة وصار لهم نفوذ كبير، وهذه الطائفة كانت استمراراً للفرقة المملوكية التي عرفت بالخاصكية، وشكّل أفرادها حرس السلاطين المماليك^(٢). وفي العهود المتقدمة للسلطنة العثمانية إلى عهد السلطان أحمد الثالث ١١١٥هـ، كانت زوجة السلطان التي تلد أميراً ويخلع عليها لقب التشريف "خاصكي سلطان"، أمّا التي لا تلد إلا البنات فيطلق عليها اسم "خاصكي قادن"^(٣).

وفي العصر الحديث ما زال اللفظ مستخدماً ويحمل الدلالة نفسها، ولكن بصيغة أخرى، فيقال: الحرس الملكي الخاص، وهم الذين يلزمون جلالة الملك ويرافقونه، ويراعى في اختيارهم الإخلاص والولاء، ويقال أيضاً الحرس الأميري والحرس الجمهوري، وهم الحرس الخاص للأمير أو الرئيس.

يلاحظ مما سبق الاستقرار الدلالي لهذه اللفظة، إذ إن دلالاتها واحدة في مختلف العصور، ولكن الفارق في التسمية، ويلاحظ أيضاً التداخل الدلالي بين هذه اللفظة بكونها مصطلحاً عسكرياً، وبإضافتها إلى الملك أو السلطان أصبحت تعطي دلالة سياسية وعسكرية.

(١) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، ص ٢٠٤.

(٢) العرب والعثمانيون، ص ٩٨، ٩٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة خاصكي.

ويذكر إبراهيم السامرائي: إن الخاصكي بالكاف ما زالت شهرة لبعض الأسر في العراق^(١).

- الدستور:

أورد القلقشندي ما رآه في دستور ابن فضل الله العمري، حول قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن الخلفاء وكيفية الكتابة والقلم الذي تكتب به، وصورة وضعها في الورق ثم الذي رأيته في دستور معتمد ينسب لابن فضل الله العمري أن يكون بين كل سطرين قد ربع ذراع^(٢).

"وفي بعض الدساتير أن سطوره تكون مزدوجة على نظير البسملة والسطر الأول، وبين كل سطرين بعد بيت العلامة تقدير خمسة أصابع مطبوقة"^(٣). والسبب في ذلك كما بيّنه القلقشندي "أن العهد كالمكاتبة من العاهد للمعهود إليه، كما أن التقليد كالمكاتبة من المقلد للمقلد والأعلى في حق المكتوب إليه أن تكون السطور متضايقة. فناسب أن تكون سطور العهد أكثر تقارباً من سطور التقليد وما في معناه تعظيماً لشأن السلطان في الحالتين"^(٤).

ويفهم من ذلك أن في تقارب الأسطر وتباعدها دلالة، حيث يميز ما بين المكتوب إليه بالعهد، وما بين المكتوب إليه بالتقليد بالولاية.

ويعرض القلقشندي نماذج للدساتير التي أوردها شهاب الدين الفارقي والصلاح الصفدي في دستورهما عند نائب الشام "المجلس السامي والأميري الأجلّي"^(٥).

ويتحدث القلقشندي عن الألقاب التي يخاطب بها أهل الإسلام وأهل الكفر في غير ما ورد في التعريف بالمصطلح الشريف، وعُرف التعريف يقول: "مما وجدته في غيرها من

(١) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، ص ٢٠٤.

(٢) صبح الأعشى، ج ١٠، ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٥٤.

(٤) نفسه، ص ١٥٤-١٥٥.

(٥) نفسه، ج ٦، ص ١٤٣؛ ج ٨، ص ٤٥.

الذساتير المجموعة من السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جارياً على عُرْفهم مما استعمله أهل الزمان ومن قاربه، والكاتب الماهر إذا فهم أصلها وعرف طُرُقها، اخترع ما شاء من الألقاب والنعوت، والضابط في وضع الألقاب أن يراعي فيها أحوال المكتوب له، فيؤتى منها، بما يناسب حاله في الوظيفة والرئاسة وسائر أوصاف المذح اللائقة به^(١). فصاحب السيف يؤتى إليه بالألقاب التي تدلّ على شجاعته، وصاحب العلم يؤتى بالألقاب الدالة على علميته، ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب الدالة على الصلاح والتعبّد^(٢).

وفي المكاتبه إلى ملك الروم صاحب القسطنطينية يقول القلقشندي: "ورأيت في بعض الذساتير أنه يختمها بقوله (فيحيط بذلك علماً) والله تعالى يديم بهجته"^(٣).

ويعرض القلقشندي أنواعاً من المكاتبات التي تعدّ ذساتير منذ السلف الصالح في الدولة الطولونية والأيوبية ودولة المماليك^(٤).

فالذساتير عبارة عن كتب تتضمّن نواحي نشاط ديوان الإنشاء المختلفة من كتابة وإنشاء وإدارة ومراسيم ومصطلح، وبعضها يتناول أدقّ التفاصيل عن الورق والقلم والخطوط والحديث عن الألقاب والمراسيم^(٥).

ولم تكن هذه الذساتير خاصة بعصر دون عصر، بل كانت حلقات في سلسلة متّصلة، يمتدّ أصلها إلى القرون الأولى من العصر العباسي، ويؤيد ذلك وجود مجموعة من الكتب عُنيت بها مثل: أدب الكاتب لابن قنّبة (ت ٢٧٠هـ)، وكتاب الوزراء لابن عبدوس الجهشيارى (ت ٣٣١هـ)، والأحكام السلطانية للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، وغيرها^(٦).

(١) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٩٦.

(٣) نفسه، ج ٨، ص ٤٥.

(٤) نفسه، ج ٨، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٥) الألقاب الإسلامية، ص ٣٦.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٧.

والدُسْتُور كلمة فارسية مكوّنة من لفظين (دَسْت) وتعني يد أو سلطة، و (ور) وتعني صاحب، والمعنى صاحب السلطة^(١)، وأصلها في الفارسي (دَسْتور)، فضمّت الدال لإلحاقها بأوزان العرب، وجمعها دساتير.

وتتعدّد معاني الدستور في اللغة الفارسية منها: إجازة، وإذن سلام عند الانصراف، ووزير، مُستشار في الدولة، وكاتب في الدولة ونموذج، وصدر أعظم، وبرنامج، أساس، وقانون، والنسخة الأصلية عن الكتاب، ودفتر، وصفة الطبيب، ورسم، وقاعدة، وضرائب، وإجراء العهد، وكاهن، وسادن في معبد نار^(٢).

ويلاحظ من المعاني السابقة أنها تتنوع بين دلالات سياسية، ودلالات دينية، ودلالات كتابية واجتماعية.

وفي معجم دي شير "الدُسْتُور": الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند أو الذي تجمع فيه قوانين الملك، ويطلق على الوزير الذي يرجع في أحوال الناس إلى ما تركه، وصاحب القوة، ومنه استهلال الدولة في كتاباتها إلى وزرائها بقولها "دستور مكرم"^(٣).

وتستعمل كلمة الدستور لطلب الإذن لمرور الرجال بين النساء ليشقوا الطريق ويفسحوا المجال^(٤). وهو مطابق لبعض معانيه في الفارسية، سلام عند الانصراف، وإذن، إلا أنه يستخدم بإبدال الدال "تاء"، فيقال: "تستور"، وهذا ما يستخدمه بعض العوام، ولكن ليس في جميع اللهجات مثل: دَفْتَر وتَفْتَر^(٥).

(١) غرائب اللغة العربية، روفائيل نحلة اليسوعي، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص ٢٢٨.

(٢) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ١، ص ١٢٠١.

(٣) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٦٣.

(٤) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٧٥.

(٥) تاج العروس، مادة دستر.

وورد اللفظ "الدُستور" في بعض القصائد الشعرية بمعنى الكتاب، قال صفي الدين الحلي^(١):

وَعَفْتُ حَسَابَهُمُ وَالْأَصْلُ عِنْدِي وفي كَفِّيَ دَسْتُورَ الْبَقَايَا
وورد في شعر أحمد شوقي^(٢):

بُشْرَى الْبَرِيَّةِ قَاصِيَهَا وَدَانِيَهَا حَاطَ الْخِلَافَةَ بِالْدَسْتُورِ حَامِيَهَا

ويقصد بالدستور "الدُستور العثماني" والذي حاط الخلافة السلطان عبد الحميد. وهنا دلالة جديدة يُعنى بها القانون.

ويعدّ الدستور في العصر الحالي أهمّ وثيقة في الحياة السياسية للمجتمع، وفي بنيان الدولة، وهو مجموع القواعد القانونية التي يتم بمقتضاها تنظيم الدولة وممارسة الحكم فيها والتي توضّح سلطات الحكومة، وحقوق المواطنين وواجباتهم^(٣).

ويتّخذ الدستور في العصر الحالي في تنظيم البلدان شكل وثيقة مكتوبة ومحدّدة، كما أنّ الدستور قد يتألف من مجموعة من الأعراف والتقاليد المصحوبة بسلسلة من التشريعات كما في بريطانيا، والغرض الأساسي من الدستور هو بيان سلطات الحكومة^(٤).

ويتّضح ممّا سبق الفارق الدلالي بين مفهوم الدستور كما ورد في عصر القلقشندي، إذ كان بمثابة طريقة أو قواعد تبيّن كيفية المكاتبات والمراسلات الخاصة بالدولة والحاكم، وأسس يحتكم إليها الكاتب الماهر، بحيث يراعي في مراسلاته ومكاتباته أحوال المكتوب له، فيؤتسى فيها بما يناسب حاله في الوظيفة والرئاسة وسائر أوصاف المدح اللائق به.

(١) ديوان صفي الدين الحلي، ص ٤٢.

(٢) ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب أحمد محمد الحوفي، ج ١، دار نهضة مصر، القاهرة، ص ٤١٢.

(٣) موسوعة السياسة، ص ٦٧٩؛ ومعجم المصطلحات السياسية، ص ٢٠٣.

(٤) معجم المصطلحات السياسية، ص ٢٠٣.

وقد استقرت دلالة لفظة دستور في العصر الحاضر لتدلّ على مجموعة القوانين التي تقوم عليها الدولة وتتحدّد من خلالها علاقاتها مع أبناء شعبها ومع الدول الأخرى، كما كانت عن الأقدمين؛ لأنها تدلّ على القوانين التي تحكم ديوان الرسائل، والدليل على ذلك قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي، وبهذا تكون كلمة الدستور قد تخصصت دلاليًا. ويلاحظ أيضاً أنّ هذه اللفظة تستعمل أحياناً في كلام المشعوذين، وبخاصة في مصر الذين يتعاملون مع الجنّ، وكأنّها أداة أو طريقة للتخاطب معهم.

- ديوان الإنشاء:

جاء في صبح الأعشى: "ديوان الإنشاء اسم مركّب من مضاف وهو ديوان، ومضاف إليه وهو الإنشاء. وأمّا الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال" (١). وأمّا الإنشاء فإتّنه مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه واخترعه" (٢).

واختلف في أصل الديوان، فذهب أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) إلى أنّه عربي "والمعروف في لغة العرب أنّ الديوان الأصل الذي يرجع إليه ويُعمل بما فيه، كما قال ابن عباس: إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب أي أصله" (٣). ويقال: "دون هذا أي أثبتّه واجعله أصلاً" (٤).

ولم يرد اللفظ "الديوان" في الشعر الجاهلي، ولم يرد في القرآن الكريم، وورد في الحديث النبوي الشريف بمعنى الكتاب، قال صلى الله عليه وسلّم "يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة نواوين، ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عليه" (٥).

(١) صبح الأعشى، ج ١، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٠.

(٣) صناعة الكتاب، ص ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٥) مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٣٥٧.

وقال صلى الله عليه وسلم "فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً"^(١).

وورد اللفظ في الشعر الأموي والشعر العباسي، ومنه قول قيس بن الملوّح:

في كلِّ منزلةٍ ديوانٌ معرفةٌ لم يُبقِ باقيةً ذِكْرُ الدواوينِ^(٢)
لقد جعلت دواوينُ الغواني سوى ديوانٍ ليليٍّ يمّحينا^(٣)

فورد بمعنى الموضع والمكان.

وقول أبي فراس الحمداني^(٤):

الشعرُ ديوانُ العـرب أبداً وعنـوانُ الأدبِ

فورد بمعنى الأصل.

وقد ذكر سيبويه الديوان في كتابه، وقال إن أصله "دوان"، واستدلّ على ذلك بقولهم في الجمع "دواوين"، وفي التحقير "دويّوين"؛ فالياء في ديوان بدل من الواو^(٥)، واستحسن النحّاس ذلك، إذ أبدلوا عن إحدى الواوين ياءً، ونظير ذلك: دينار، والأصل فيها دنار، وكذلك قيراط، الأصل فيها قرّاط^(٦).

(١) مسند الإمام أحمد، ج ٦، ص ٢٤٠.

(٢) شرح ديوان قيس بن الملوّح، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤، ص ٢٢٤.

(٣) شرح ديوان قيس بن الملوّح، ص ٢٢٧.

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص ٣٣.

(٥) الكتاب، ج ٤، ص ٣٦٩.

(٦) صناعة الكتاب، ص ١٠٧.

وَدَيَّوان بالفتح خطأ؛ لأنه لم يجز قلب الواو ياءً، وإن قيل إنَّ الياء أصل، فهذا خطأ، فلو كانت الياء أصل لقيل في الجمع: دَيَّاوين، فكما لا يقال: دَيَّنار، وقَيَّراط، لا يقال: دَيَّوان^(١). فديوان أصلها: "دَوَّان" فقلب أحد حرفي التضعيف ياءً كراهة إجماع الأمثال^(٢).

وذهب الأصمعي (ت ٢١٥هـ) إلى أنه فارسي معرّب، والمراد به كُتَّاب يشبهون الشياطين، وأصله دَوَّان، فأبدلت الواو الأولى ياءً تخفيفاً لنقل التضعيف، ولم تُبدل "الثانية" ياءً لبقاء التضعيف لو أبدلت^(٣). وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه، فقال: "الديوان فارسي معرّب"^(٤). وينقل الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل عن المرزوقي في كتابه "شرح الفصيح" أن الديوان لفظ عربي من دونت الكلمة إذا ضبطتها؛ لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدوّن، ويرجّح الشهاب الخفاجي ذلك ويقول: "هذا هو الصواب، وليس معرّباً، ويطلق على الدفتر وعلى محله وعلى الكتاب، ويخصّ في العرب بما يكتب فيه الشعر"^(٥).

وبيّن الماوردي في الأحكام السلطانية سبب تسمية ديوان، وفي ذلك وجهان: أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كُتَّاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقال "ديوانه" أي مجانيّن، فسمي موضعهم بهذا الاسم، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال فقيل ديوان^(٦). وعليه اقتصر أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب^(٧).

والثاني: أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين، وسمي الكتاب بذلك لحقهم بالأمور وقولهم على الجليّ منها والخفي^(٨).

(١) صناعة الكتاب، ص ١٩٨.

(٢) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عبد القادر مرعي الخليل، ط ١، ٢٠٠٢، ص ١٥٤.

(٣) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ص ١١٩.

(٤) معجم الصحاح، مادة (دون).

(٥) شفاء الغليل، ص ١١٩.

(٦) الأحكام السلطانية، ص ٣٠٧.

(٧) صناعة الكتاب، ص ١٨.

(٨) الأحكام السلطانية، ص ٣٠٧.

وفي اللسان: الديوان مجمّع الصحف فارسي معرّب^(١)، وفي دائرة المعارف الإسلامية أن لهذه الكلمة صلة بكلمة "دب" الآشورية، وتعني سجلات الحساب العامة^(٢).

وفي المعجم الفارسي: الديوان "مكان مجمع، وبلاط، ودفتر المحاسبة، وساحة العدل، وقاضي، ووزير، ومجلس، ومجلس الشورى، ورئيس الجبابة، وضرائب، وديوان شعر، ورئيس الوزراء"^(٣).

وفيما يتعلّق بالتأصيل لهذا اللفظ، فأميل إلى ما ذهب إليه المرزوقي وغيره، من أن اللفظة عربية الأصل، ويبدو أن ثمة علاقة بين "الديوان" ومادة (دَوْن) التي منها (دون) الظرفية؛ فالديوان اسم لمكان يكون دون صاحبه بمعنى قبله، فديوان الملك أو السلطان دون مكانهما أي قبله.

أضيف اللفظ إلى الإنشاء: والإنشاء من نشأ، يَنْشَأُ نشأً ونشوءاً ونشأة، وورد الاشتقاق لهذا اللفظ في الشعر الجاهلي، ومنه قول قيس بن الخطيم^(٤):

لو كُنْتُمْ مِنَّا قَرِيباً لَخَفْتُكُمْ سِيَابِي إِذَا أَنْشَأْتُ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ

ووردت في البيت بمعنى بدأت.

فمن معاني الإنشاء: الحدث الذي جاوز حدّ الصغير وصغار الإبل، والسحاب، وارتفاع الليل، وأول الليل والنهار والشيئة: البئر ويراد بها المخرج منها، والمستنشئة: الكاهنة سميت بذلك؛ لأنها كانت تتشئ الأخبار وتطليها^(٥).

ومن أنشأ بمعنى ابتدع، اشتقّ الإنشاء وإضافته إلى الديوان تحتل أمرين:

(١) اللسان: مادة (دون).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ديوان).

(٣) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ١، ص ١٢٨٣.

(٤) ديوان قيس بن الخطيم، ص ٢٣٠.

(٥) اللسان: مادة (نشئ).

أحدهما: أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتبتدأ عنه، والثاني أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالاً^(١).

وديوان الإنشاء أول ديوان وضع في الإسلام كما يقول القلقشندي؛ لأن النبي ﷺ أمر أشخاصاً ليكتبوا له الرسائل لملوك الأرض، ولأمرء، وأصحاب السرايا، والصحابة؛ لأن هذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء، بخلاف ديوان الجيش الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢).

وفي العصر الأموي استخدم الأمويون كاتباً لديوان الإنشاء، مثل عبد الحميد الكاتب وسمي ديوان الرسائل^(٣).

وفي العصر العباسي، زادت المكاتبات الإدارية ودعت الحاجة إلى تنظيمها وأسندت مهمتها إلى ديوان خاص، وكان الإشراف في بداية الأمر إلى الوزير مباشرة، ونتيجة لضخم أعمال الديوان فصل عن الوزارة، وأصبح له رئيس خاص به، ومن أشهر الكتاب يحيى بن خالد، وكان يطلق عليه ديوان الرسائل، أو ديوان المكاتبات^(٤).

أما في العصر الفاطمي، فقد صرف الفاطميون عنايتهم إلى ديوان الإنشاء، فارتفع قدره وشاع ذكره، وعرف بأسماء مختلفة، فأطلق عليه ديوان الرسائل، وسمي ديوان المكاتبات، وديوان الإنشاء، ولم يعرف بهذا الاسم في مصر قبل العصر الفاطمي^(٥).

(١) صبح الأعشى، ج ١، ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩١.

(٣) نفسه، ج ١، ص ٩٣.

(٤) نفسه، ج ١، ص ٩٤؛ والخطط، ج ٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) صبح الأعشى، ج ١، ص ٩٥، ٩٦؛ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم مستز، تعريب، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٦٧، ص ١٥٠.

وفي الدولة الأيوبية توالى كتابة الإنشاء، وظلت نظم ديوان الإنشاء وتقاليدته التي عرفت في العصر الفاطمي معمولاً بها في العصر الأيوبي^(١). وأطلق في عهد صلاح الدين الأيوبي على الخليفة نفسه^(٢).

وفي العصر المملوكي استمر ديوان الإنشاء في مستواه الرفيع الذي وصل إليه في العهد الفاطمي، وكان مقر هذا الديوان في القلعة، وفيه قاعة خاصة مثل "الوزارة" تعرف باسم قاعة الإنشاء.

وتتضح أهمية ديوان الإنشاء في عصر المماليك لكونه المكان الذي تكتب وتحفظ فيه مراسلات ومكاتبات السلطان، ويطلق على متولي هذا الديوان "صاحب ديوان الإنشاء"، أو "كاتب السر"، أو "كاتب السر" الذي يحتاج في عمله إلى معرفة لغة الكتب التي ترد عليه ولا يطلع أحداً عليها؛ لأنها أحفظ لسر الملك^(٣).

وتتضح أهمية ديوان الإنشاء في هذا العصر أيضاً من أن الخليفة كان يخاطب في أثناء الكتابة "بالديوان العزيز"، وسبب الخطاب بالديوان العزيز التهيّب من مخاطبة الخليفة مباشرة وتنزيل الخطاب منزلة من يخاطب نفس الديوان، والمعنى به ديوان الإنشاء؛ لأن الكتب وأنواع المخاطبات إليه واردة وعنه صادرة^(٤).

وأما في العصر الحديث، فلكمة ديوان مجردة عن الإنشاء أكثر من دلالة، فتطلق على ديوان الشعر، وتطلق على مكان استقبال الضيوف، ويلاحظ تحول اللفظ إلى الإنجليزية والروسية والفرنسية إلى (divan)، وفي الأرمنية إلى (tivan)، ويدل في الأرمنية على مقعد طويل ذي حشايا أو نحوها في موضع الجلوس^(٥).

(١) صبح الأعشى، ج ١، ص ٩٧؛ والألقاب الإسلامية، ص ١٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة ديوان.

(٣) صبح الأعشى، ج ١، ص ١٦٥-١٦٧؛ وانظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٤٤.

(٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٧، ٨.

(٥) غرائب اللغة العربية، ص ١٢٩.

ولعلّ ديوان الإنشاء موجود في العصر الحاضر في صورتين: الأولى الصورة المعادلة له "الديوان الملكي" أو الأميري، ويقصد به اسم مكان لاستقبال الضيوف وتنظيم برنامج الزيارات وتنفيذها، واستقبال البرقيات والرسائل وإصدارها. والصورة الثانية "ديوان" دون إضافة، ويقصد به استقبال المخاطبات والردّ عليها، وهو موجود في الدوائر والمؤسسات، إذ يوجد "ديوان" في كل دائرة، والقائم عليه رئيس الديوان، وعدد من الموظفين، إذ من خلاله تستقبل وترسل المخاطبات الواردة والصادرة عن الدائرة أو المؤسسة.

ويستخدم الديوان اليوم بوصف حلقة مكوّنة من مجموعة من الأشخاص يتبادلون الحديث. ويضاف إلى ذلك أنّ هناك اشتقاق "منشئ" من أنشأ في العصر الحديث مجردة من كلمة "ديوان" وتستعمل في أماكن رسمية هامة، ومن ذلك منشئ الرسائل للملك أو الأمير أو الرئيس.

- الطَبَلْخَاتَاه:

جاء في صبح الأعشى في ذكر رسوم الملك وآلاته "الطَبَلْخَاتَاه هي طبول متعدّدة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صُحبة الطَّلَب في الأسفار والحروب، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك"^(١)، ويُقصد بصُحبة الطَّلَب مصاحبها للملوك في السفر في الحروب.

"وَدَخَاتَاه لفظ فارسي معناه البيت، والمعنى بيت كذا، إلّا أنّهم يؤخّرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك"^(٢). ومن أمثلتها "الفراش خاناه، والسلاح خاناه، والركاب خاناه".

والطَّبَلُ لفظ عربي معروف، ورد في الشعر الجاهلي بمعنى "الخلق"، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة^(٣):

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٠.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٣٤٤.

ثُمَّ جَرَيْتُ لَانْطِلَاقَ رِسَالِي سَتَعْلَمُونَ مَنْ خِيَارُ الطَّبْلِ

وورد اللفظ آلة موسيقية عند شعراء العصر العباسي.

قال أبو نواس^(١):

يحكي صداه مجيذ الصوت إذ نطقتُ منه اللغات على طبلٍ ومزمارٍ

وقال ابن المعتز^(٢):

وصاحب سوءٍ وجهه لي أوجهٌ وفي فمه طبلٌ لسري يضربُ

ومن معاني الطبل: شيء من خشب يتخذُه النساء، وسلّة الطعام، والخلق، ونوع من الثياب، والخراج، ومنه قولهم فلان يحب الطبل؛ أي يحب دراهم الخراج، والطبالة: النعجة^(٣). والطبله آلة يشدّ عليها الجلد ونحره، ينفر عليها، وأغلب ما كانت بوجهين^(٤). وهو المعنى المقصود به في هذا التركيب.

وأما الخان فيعدها صاحب اللسان، فارسي معرّب^(٥).

والطَبْلَخَانَه: هي الطبول، ويقال لها الدبادب والبوقات والزمير المعروف بالصهان، الذي يضرب كل ليلة بباب الملك وخلفه في المواكب، وهي من شعار الملك القديم، ويذكر القلقشندي نقلاً عن مسالك الأبصار أنّ انطبل في بلاد المغرب يختص ضربه السلطان دون غيره^(٦). وهي بهذا المعنى تمثّل الفرقة الموسيقية السلطانية.

(١) ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ (ت ١٩٠هـ)، ط ١، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٤١.

(٢) ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ٨٠.

(٣) اللسان، مادة (طبل).

(٤) معجم الوسيط، مادة (طبل).

(٥) اللسان، مادة (خون).

(٦) صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٣٤.

والطَبْلَخَانَاهُ أيضاً المكان المخصص من حواصل^(١) السلطان لطبول الفرقة وأبواقها وتوابعها من الآلات، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمر علم يقف عليها عند ضربها كل ليلة، ويتولّى أمرها في السفر، ولها مهتار^(٢) متسلم لحواصلها يعرف بمهتار والطَبْلَخَانَاهُ، وله رجال تحت يده "الدندار"؛ وهو الذي يضرب على الطبل، ومنقر وهو الذي يضرب بالبوق و"كوسي" وهو الذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض^(٣). والكوسي طبل في لهجة الإمارات.

وأصل نظام الطبلخاناه أن السلطان علاء الدين خوارزم لما عزم المسير إلى العراق، وخالف الخليفة الناصر، ضرب لنفسه نوبة^(٤)، ذي القرنين تعاضماً في وقتي الشروق والغروب، بعدما كانت تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس ففوضها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سمّاها لهم على أبواب سلطنتهم، واختار لضربها سبعة وعشرين ملكاً، وكانت آلة النوبة من الذهب^(٥).

ويبين أرسطو في كتابه السياسة الذي كتبه للإسكندر أن السرّ في ذلك إرهاب العدو في الحرب؛ لأنّ في أصواتها تهيجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش، كما تتفعل الإبل بالخداء والجداء، ونحو ذلك، وكلما كثرت أعدادها، كان أفخم لشأن الملك ورفعته^(٦).

وقد استخدم هذا النظام زمن الدولة العباسية^(٧)، والدولة الأيوبية^(٨)، واستخدمت مع غيرها من الألفاظ في العصر المملوكي، مثل السلاح خاناه، والفراش خاناه، والركاب

(١) الحواصل: أماكن لحفظ أو خزن أصناف معينة.

(٢) لقب يقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت، وهو مكون من (مه) بالفارسية وتعني الكبير، و(تار) بمعنى أفعّل التفضيل، فالمعنى المهتار الأكبر، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧٠.

(٣) صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣.

(٤) النوبة عند المغنين اسم لآلات الطرب، وربما أطلقت على المطربين إذا اجتمعوا، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٥٣.

(٥) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٦) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩، ج ٢، ص ١٣٥.

(٧) التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، إبراهيم السامرائي، ط ١، دار الفرقان، ١٩٨٦، ص ١١٦.

(٨) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨.

خاناه^(١). حيث أورد القلقشندي تعريفاً لكل واحدة، وكان يضع المضاف قبل المضاف إليه وفق عرف العربية.

(وطبل خانة) لفظ مكون من مضاف طبل، ومضاف إليه خانة، والأصل أن يقال خان الطبل، وهذا ناتج عن التأثر والتأثير بين اللغات وخاصة في ظاهرة قلب الإضافة^(٢).

ويرى البدرأوي زهران أن (خاناه) تؤدي في العربية وظيفتها الصرفية التي تؤديها في لغتها الأصلية، وأن العربية هنا تنازلت عن واحدة من خصائصها الصرفية، وهي خاصية الإضافة، حيث إن المضاف يسبق المضاف إليه دائماً، وطبقاً لقواعد الفصحى، كان المفروض أن يقال "بيت الطبل، بيت الفراش"، فالعربية بهذا تحقق هدفين، أولهما صرفي، والثاني دلالي، وهما مرتبطان معاً، ولا يمكن الفصل بينهما، فقد أنقصت عدد الوحدات اللغوية الداخلة في التركيب بشكل ملحوظ وأحكمت الدلالة بدقة^(٣).

وحول كلمة (خان)، يقول إبراهيم السامرائي إن "خان" بمعنى منزل كلمة فارسية عرفت في العربية الدارجة بهذا المعنى، أو ما هو نزل أو فندق للمسافرين وللبنائين والتجار، وقد عرب العرب في فروق خصت هذه الكلمة فجعلوها "الحان" بالحاء، وخصوها بالخمر والشاربين، ومثلها "خانة" مؤنثة فابتعدت عن دلالتها باللغة الفارسية^(٤).

والخان ما يزال مستخدماً في العراق في المدن التقليدية والأسواق الشعبية خاصة بمعنى النزل سابقاً، وحوّل الآن إلى مخازن لخزن بضائع التجار، ويستعمل في الأردن وفلسطين.

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩-١٠.

(٢) علم اللغة التاريخي، ص ٣٠٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٨٣.

(٤) الدخيل في الفارسية والعربية والتركية، ص ٢٠٥.

وأما التركيب في العصر الحاضر، فلا وجود له، ولكن يماثله الآن كما في الأردن "موسيقى القوات المسلحة الأردنية"، وهي خاصة في الاحتفالات، والاستقبالات للضيوف الذين يأتون لزيارة المملكة، وعزف السلام الملكي.

ويلاحظ مما سبق الاستمرار والاستقرار الدلالي لوظيفة هذه الفرقة مع الاختلاف في التسمية عما كانت عليه سابقاً، كما يلاحظ التداخل الفني والسياسي والعسكري، فهي فرقة موسيقية، ولكن لارتباطها بالملوك والحكام صبغت أيضاً بصبغة سياسية.

- الطُغرى (العلامة السلطانية):

جاء في صبح الأعشى نقلاً عن التعريف بالمصطلح الشريف "وقد جرت العادة أن تُكتب للمناشير الكبار كمقدمي الألواف وانطبختات طُغرى بالألقاب السلطانية، ولها رجل مفرد بعملها وتحصيلها بالديوان، فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطُغراوات واحدة، وألصقها فيما كتب به. وتكون فوق وصل بياض فوق البسمة"^(١). فهي عبارة عن إشارة للمراسلات السلطانية تلصق أعلى الرسالة كانت توضع في عصر المماليك في مناشير بين وصل الطُرة والبسمة، وترد فيه ألقاب السلطان.

وأختلف في أصل اللفظ، وقيل إن أصله "فارسي"، وأن رسم اللفظ بالحروف العربية قد ثبت في فارس بالصيغة "طُغرا" و "طُغرى" بألف مقصورة وألف قائمة، ومن ثم جرى استعماله في اللغة الأدبية التركية في صيغة التأنيث لأفعل التفضيل العربي "فعلًى"^(٢). وجاء في الناج: طَغَرَ عليهم لغة في دَغَرَ، طَغَرَهُ ودَغَرَهُ إذا دفعه، وطَغَرَ عليهم، ودَغَرَ بمعنى واحد، وطُغرى كلمة أعجمية؛ وهي العلامة التي تكتب بالقلم الغليظ في طُرة الأوامر السلطانية، وقيل أصلها طور غاي، ولعلها طُو غراي، كلمة تنزيه استعمالها الروم والفرس^(٣).

(١) التعريف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري، تحقيق سمير الدروبي، ط١، جامعة مؤتة، ١٩٩٢، ص١١٨، ١٩؛ وانظر: صبح الأعشى، ج١٣، ص١٦٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).

(٣) تاج العروس، مادة (طغر).

والطغراء في الفارسية "علامة ترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته يدرج فيها اسمه، فارسيته طغرا"^(١). وقيل إن اللفظ مشتق من اللفظ "الأويغوري" "تغراغ" الذي يدل على طابع الملك الأويغوري وتوقيعه، وعلى جواد يعاد إلى الجيش لغايات عرض عسكري أو طوال حرب من الحروب، والتغير في تغراغ إلى طغرا يدل على ما جرى في اللغة العثمانية من إسقاط الحرف الحلقى الأخير (غ) في لغة الأوغور^(٢).

وفي دائرة المعارف الإسلامية، أن اللغة العربية الدارجة خلطت بين طغرى وطرة، والتي تعني جانب الثوب أو الحاشية العليا من وثيقة، وعلى الرغم من محاولات تشبيه اللفظ بألفاظ أخرى، إلا أنه يعود إلى أصل تركي خالص^(٣).

فالطغراء: "كتابة مشتبكة الحروف في فرماتات سلاطين تركية ومسكوكاتهم toughra"^(٤). والتي تعني "توقيع الملك، خاتم الملك، الخاتم الملكي فوق الفرامين، الأوراق الرسمية والعملة، خط منحنى ومتداخل، فرمان سلطاني"^(٥).

ويرادف اللفظ الفارسي نيشان أو نيشانة وجمعه العربي نياشين ومعناه العلامة، ويرادف اللفظ العربي توقيع^(٦)، أو ختم، وموجودة صورته في بعض رسائل النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت علامة ختمه "محمد رسول الله"^(٧).

ويعرض البدراوي زهران لهذه اللفظة نموذجاً لكلمات بدأت بتغيرات صوتية في أضيق الحدود، ثم تطورت صوتياً، ودخلت في دائرة المفارقات البعيدة، فصارت الألف المقصورة ألفاً ممدودة، فالتقارب قوي بين الكلمة في صورتها الصوتية، ثم أصابها تطور

(١) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٣٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).

(٣) المصدر نفسه، مادة (طغراء).

(٤) غرائب اللغة العربية، ص ٢٧٣.

(٥) المعجم الفارسي الكبير، مجلد ٢، ص ١٨٥٨-١٨٥٩.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).

(٧) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٦١، ١٦٢.

ضيق آخر عن طريق قانون السهولة، فتحول لفظة "طغراء" إلى "طغرة"، فتحوّلت الهمزة إلى تاء مربوطة، تنطق مرّة تاء، وأخرى هاء حسب موقعها، وساعد على ذلك أن الهمزة والتاء توحيان أن الكلمة مؤنثة، وأخذت صيغة "فَعْلَة"^(١). ويقول البدرائي زهران أنها تطوّرت عند شعراء المسلمين زمن الحروب الصليبية صوتياً ودلالياً، فمن حيث الأصوات صارت "طرة" وجمعت على طرر، وتطوّرت دلالياً وصارت تطلق على الجباه الجميلة، ويورد بيتاً قاله شاعر مسلم متعلّلاً بفتيات فرنجيات:

فيا عدولي فيهن دع كلفــــي وانظر إلى الشمس هل لها طرر^(٢)
ويبدو أن اللفظة ليست بتركية ولا فارسية، إنّما هي لفظة عربية منحوتة من لفظين هما "طرة غراء" وكلاهما ورد في الشعر الجاهلي، قال عمر بن قميئة:
وفيهنّ خَوْلَةٌ زَيْنُ النِّسَاءِ زَادَتْ عَلَى النَّاسِ طُرّاً جَمَالاً^(٣)
وقال الأعشى:

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهويني كما يمشي الوجي الوحل^(٤)
وغراء بمعنى بيضاء.

والذي حدث في (طرة غراء) أن حذفت التاء من طرة لأنها علامة تأنيث موضعها آخر اللفظ وسدّت مسدّها (اء) في غراء، ثم حذفت الراء من طرة لتكررها بعد الغين، فجلمت الكلمة "طغراء" وضمت العين بأثر تقدّمي من ضمة الطاء.

فموقع الطرة من الكتاب أعلاه، وموقع الغرة من الفرس أو المرأة أعلاها، فصارت "طرة غراء" للدلالة على العلامة السلطانية المميّزة للكتاب، ويضاف إلى ذلك أن ما أورده البدرائي زهران حول التطور الصوتي لهذه اللفظة في عصر الحروب الصليبية لم يكن

(١) علم اللغة التاريخي، ص ٨١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٤.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة، ص ١١٠.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص ٥٥.

تطوّراً صوتياً؛ لأنّ اللفظة وردت بهذه الصورة في الشعر الجاهلي، والدليل على ذلك ورود اللفظة في شعر ابن قميئة.

والنسبة إلى (طُغْرَى) طُغْرَائِي، وهي على هذه الشاكلة جاءت على غير القياس، إذ إنّ النسب إلى طُغْرَاء طُغْرَائِي، والطُغْرَائِي هو الكاتب في ديوان الطُغْرَاء أو المتولّي لأمر الطُغْرَاء، ومن أطلق عليه هذا اللقب الشاعر أبو إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي المشهور بالطغرائي (ت ٤١٥هـ) كان نائباً في ديوان الطغراء، وتولّى منصب الطغراء في الدولة السلجوقية عام ٥٠٥هـ، وهو منصب على قدر كبير من الأهمية^(١).

واستخدمت الطغرى بين سلاطين المماليك، الذين استعاروها من السلاجقة عن طريق الأيوبيين^(٢). وورد اللفظ بصيغة الجمع، فقليل "طُغْرَاوات"، واستعملت في المناشير إلى آخر الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين، (١٣٦٣-١٣٧٦هـ)، ثم تركت بعد ذلك ورفض استعمالها وأُهملت"^(٣).

ويعرض القلقشندي صورة "طغرى" منشورة بألقاب السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون مضمونها "السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان، الشهيد الملك المنصور، سيف الدين قلاوون". وعدد منتصباتها من الألف وما في معناه خمسة وثلاثون منتصباً^(٤). ويقصد بالمنتصبات الحروف التي تكتب قائمة مثل الألف وما شابهها. ويعرض نسخة "طغرى" منشور أيضاً بألقاب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر قلاوون^(٥).

(١) ديوان الطغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي (ت ٥١٥هـ)، تحقيق علي جواد طاهر، ويحيى الجبوري، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦، مقدمة التحقيق، ص ١٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغراء).

(٣) صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٦٢.

(٤) صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٦٤-١٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٦٥-١٦٦.

وتختلف هذه الطغراوات باختلاف تركيباتها، باعتبار كثرة منتصباتها من الحروف وقَلَّتْها، على حسب كثرة آباء ذلك السلطان وقَلَّتْهم، ويحتاج واضعها إلى مراعاة ذلك باعتبار قلة منتصبات الكلام وكثرتها، فإن كانت قليلة، أتى بالمنتصبات بقلم مبسوط، وإن كانت كثيرة أتى بالمنتصبات بقلم أدق من ذلك^(١).

وفيما يتعلّق بتقديم اسم السلطان على البسملة، فإنّ الاحتجاج كما يوضّحه القلقشندي في قوله تعالى في قصّة بلقيس «إني ألقى إليّ كتاب كريم إنّهُ من سليمان، وإنّهُ بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢). ويحتمل قوله "إنّهُ من سليمان" حكاية عن قول بلقيس، ويكون بسم الله الرحمن الرحيم هو أول الكتاب فلا يكون في ذلك حجة على تقديم اسم على البسملة، وإنّما يتّجه الاحتجاج بذلك على القول بأنّ قوله "إنّهُ من سليمان" من كلام سليمان عليه السلام، وأنّهُ قدّم اسمه على البسملة وقاية لاسم الله تعالى؛ لأنّهُ من عادة ملوك الكفر أنهم إذا لم يرضوا كتاباً مزقوه أو تفلوا فيه فجعل اسمه حالاً محل الوقاية، وهذا لا يكون هنا؛ لأنّ المحذور فيه غير موجود؛ لأنّ المناشير إنّما تلقى إلى المسلمين القائمين بتعظيم البسملة، والموفين لها حقّها، وحينئذ يكون لترك استعمالها وجه ظاهر من وجهة الشرع بخلاف ما في المكاتبات إلى ملوك الكفار^(٣). واستخدمت الطغرى في العصر العثماني، وأقدم طغرى عُرفت التي على سكة للأمير سليمان^(٤).

وأما في العصر الحديث، فما زالت اللفظة مستخدمة في سلطنة عُمان، وهي وسام سلطاني يمنحه السلطان تقديراً لمستحقّيه.

(١) صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٦٣.

(٢) النمل، الآيات ٢٩، ٣٠.

(٣) صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٦٣.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (طغرى).

- كَاتِبُ السِّرِّ:

جاء في صبح الأعشى: كاتب السرّ هو صاحب ديوان الإنشاء^(١). ووظيفته قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً والجلوس بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها، ومشاركة الوزير في بعض الأمور، ومشاركة الدوّادار في أكثر الأمور السلطانية^(٢).

وكاتب السر اسم مركّب من لفظين كلاهما ورد اشتقاقه في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ومن ذلك قول ثعلبة بن عمرو العبدي يشير إلى الكاتب صراحةً^(٣):

أَكْبَّ عَلَيْهَا كَاتِبٌ بِدَوَائِهِ يُقِيمُ يَدَيْهِ تَارَةً وَيُخَالِفُ

وجاء اللفظ صراحة في قول الأخنس بن شهاب^(٤):

لَابِنَةُ حَطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَّشَ الْعِنَوَانُ كَاتِبُ

وورد اللفظ صريحاً في قول أبي ذؤيب الهذلي يصف كاتباً من اليمن^(٥):

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمَ الدَّوَاةِ يَزْبُرُهَا الْكَاتِبُ الْجَمِيرِيُّ

ورد اللفظ واشتقاقه في القرآن الكريم، قال تعالى: «وليكاتب بينكم كاتب بالعدل»^(٦)،

وورد بمعنى فرض في قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ»^(٧).

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٠.

(٣) المفضليات، المفضل بن محمد الضبّي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٨١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٥) ديوان الهذليين، القسم الأول، ص ٦٤.

(٦) البقرة، الآية ٢٨٢.

(٧) البقرة، الآية ١٧٨.

وورد في حديث النبي ﷺ عن الدجال "مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب"^(١)، ويفهم من الحديث ممّن يعرف الكتابة أو لا يعرفها.

وكاتب اسم فاعل اشتق من مادة (كَتَبَ) والتي تأتي على معانٍ متعدّدة، منها كتب الشيء يكتبه كَتَبًا وكتّابًا وكتابةً، خطّه، والكتاب اسم لما كُتِبَ، والكتاب التوراة، ورجل كاتب والجمع كُتّاب وكتبه مهنته الكتابة، والكاتب: العالم؛ لأنّ الغالب على من يُعرف الكتابة أن يكون عنده علم ومعرفة، والكتاب الفرض والحُكْم، وأكتتب القرية شدّها بالوكاء، والكتبة جماعة الخيل إذا غارت، وتكتبت البغلة ضمّ بين شُفرتيها بحلقة، والكتائب جمعه كتيبة وهو الجيش إذا تكتب، وسميت الكتابة بالكتابة لاجتماع الحروف وضمّ بعضها إلى بعض^(٢). وقيل للكاتب كاتب؛ لأنّه يضم بعض الحروف إلى بعض ويؤلّفها^(٣). وقد أفاض ناصر الدين الأسد في حديثه عن معرفة العرب للكتابة في كتابه مصادر الشعر الجاهلي^(٤).

واللفظ الآخر: السر الذي ورد في قول الشاعر النابغة الذبياني بمعنى الإخفاء والكتمان^(٥):

إيَّامَ تُخْبِرُنِي نَعَمَ وَأَخْبِرْهُمَا ما أَكْتَمُ النَّاسَ مِنْ حَاجِي وَأَسْرَارِي

ومن اشتقاقات اللفظ "سرارة" بمعنى الأرض الكريمة ورد في قول لبّيد بن ربيعة^(٦):

فَشَيَّعَهُمْ حَمْدٌ وَزَانَتْ قُبُورَهُمْ سَرَارَةُ رِيحَانٍ بِقَاعٍ مُتَوَرِّ

وورد التركيب كتوم الأسرار بمعنى أمينها وحافظها في قول قيس بن الخطيم^(٧):

(١) صحيح مسلم، ج ٩، رقم ٢٩٣٤.

(٢) اللسان، مادة كتب.

(٣) صناعة الكتاب، ص ٩٥.

(٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٨، ص ٢٣ وما بعدها.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦.

(٦) شرح ديوان لبّيد، ص ٥٣.

(٧) ديوان قيس بن الخطيم، ص ١٦٣.

وإن ضيَع الإخوانُ سرّاً فإنّني كَتُمُ لأسرارِ العشيرِ أميــــنُ

وورد اللفظ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فإنّه يعلمُ السرَّ وأخفى﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿لا تواعدَ وهنَ سرّاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿أسرّها يوسف في نفسه﴾^(٣)، والمعنى واحد في الآيات الكريمة، وهو "الخفاء".

وورد اللفظ في حديث النبي ﷺ في حديث أنس بن مالك "ثم أسرّ إليّ النبي صلى الله عليه وسلم سرّاً فما أخبرت به أحداً بعده"^(٤).

فالسرّ من سرّ، وهو ما أخفيت، والجمع أسرار، والسرّ ما أسررت به السريرة عمل السرّ من خير أو شرّ، وأسرّ الشيء وكتمه وأظهره وهو من الأضداد، واستسر الهلال خفي، والسرّ النكاح لأنّه يكتّم والسرّ الزنا، وسميت الجارية سرّية لأنّها موضع سرور الرجل، والسرّ وسط الوادي، وأرض سرّ كريمة طيبة^(٥). فالذي يحفظ السرّ طيّب كريم.

والكاتب لفظ يدلّ على عموم وبإضافته إلى السرّ عرّف ليدلّ على صاحب مهنة، لسه منزلته وأهميته عند الملوك والحكّام. ويعرض القلقشندي أهمية كاتب السرّ ومنزلته بالنسبة إلى الملك، فيقول: "أمّا رفعة محله وشرف قدره، فأرفع محل وأشرف قدر، يكاد أن لا يكون عند الملك أخصّ منه ولا ألزم لمجالسته ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل زمن مقدّماً لديهم على من عداه، يلقون إليه أسرارهم، ويخصّونه بخفايا أمورهم ويطلعونّه على ما لم يطلع عليه أخصّ الأخصاء من الوزراء والأهل والولد"^(٦). وهو أول من يدخل

(١) طه، الآية ٧.

(٢) البقرة، الآية ٢٣٥.

(٣) يوسف، الآية ٧٧.

(٤) صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٤٢.

(٥) اللسان، مادة (سرر).

(٦) صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠١.

على الملك وآخر من يخرج من عنده، يطلع على مهمات مملكته، وهو لا يثق بأحد من خاصته ثقته به^(١).

وتتضح أهمية كاتب السرّ للملوك في قول المأمون "الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاثة: القدر في الملك، وإفشاء السرّ، والتعرض للحرم"^(٢).

ولقبه في زمن بني أمية وقبله فيعبرون عنه بالكاتب، وفي الدولة العباسية، لقب السفاح كاتبه "أبا سلمة (الخلال) بالوزارة. وفي الدولة الفاطمية، والأيوبية كاتب الدست^(٣).

وكان صاحب ديوان الإنشاء في بدايات عهد المماليك يلقب تارة باسم صاحب الدست الشريف، وتارة باسم كاتب الدرج، وتارة باسم كاتب الدست، وبقي الأمر على هذا إلى أيام المنصور قلاوون، حيث أطلق عليه كاتب السرّ، ونقل لقب كاتب الدست إلى طبقة دونه من كتّاب الديوان^(٤).

وعلت منزلته في العصر المملوكي، وفي ذلك يقول القلقشندي: "ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة ومحلّه أعظم محل، إليه تلقى أسرار المملكة وخفاياها وبرأيه يستضاء في مشكلاتها، ومن ديوانه تكتب الولايات السلطانية كافة، ويقوم توقيع على القصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان"^(٥).

ومما يدلّ على منزلة كاتب السرّ في العصر المملوكي أنّه كان يحضر وبحكم منصبه حلف اليمين التي يؤدّيها ولاة الأقاليم الذين يعيّنون في المناصب الجديدة، ويقوم بكتابة مراسيم تولية الولاية وتزويدهم بنصحائه، ويشترط على كاتب السرّ أن يكون ملماً بقواعد البلاط

(١) صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٣؛ ومعالم الكتابة، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٢.

وأصوله ويتولّى تحديد الألقاب التي يرد بها على أصحاب الكتب المرسلة إلى السلطان ويشير بنوع الورق المناسب ويصحح أخطاءها^(١).

وكاتب السرّ في عمله هذا، يشبه في العصر الحديث عمل رئيس الديوان، أو السكرتير الخاص لجلالة الملك. ومن الألقاب التي عرف بها كاتب السر: لسان الدولة، ولسان السلطنة^(٢). ويفهم من اللقب أنّ صاحبه هو المتحدّث الرسمي باسم الدولة.

وكان لكاتب السرّ مساعدون يلونه في الرتبة وهم كُتّاب الدّست، وكُتّاب الدّرج، وكُتّاب الدّست هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل ويقرّعون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السرّ ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السرّ، وسمّوا كُتّاب الدّست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه، لجلوسهم للكتابة بين يديه، وهم أحقّ كُتّاب الإنشاء باسم "الموقعين" لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم^(٣).

والدّست لفظ فارسي معرّب دشت وهي الصحراء، واستعمل بمعنى الديوان ومجلس الوزراء والرّاسة^(٤). وفي العربية له معانٍ أربع "اللباس، والرّاسة، والحيلة، ودست القمار"^(٥).

وجاء في محيط المحيط: الدّست لفظ فارسي أخذته العرب وتصرّفت به لمعانٍ كثيرة، وجمعه "دُسُوت"، ومن معانيه: الصحراء، واللباس، والورق، وصدر البيت والمجلس، والحيلة والخديعة، ويطلق على خمسة عشر من العدد، ومنه الدّسته الحزمة من الملاقع، وعند العامّة الرجل الكبير من النحاس، والحزمة معرّب دسّته^(٦). وقد اجتمع أكثر هذه المعاني للحريري في المقامة الشعرية، حيث يقول: "نشدنك الله ألسن الذي أعاره الدّست الثوب"، فقلت: لا

(١) تاريخ الممالك البحرية، علي إبراهيم حسن، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣١٠.

(٢) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٧.

(٤) شفاء الغليل، ص ١٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٦) محيط المحيط، مادة دست، ج ١، ص ٢٤٩.

والذي أحلّك في هذا الدّست "المجلّس" ما أنا بصاحب ذلك الدّست "الثوب"، بل أنت الذي عليه الدّست "الحيلة"^(١).

وأما قول القلقشندي سموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه، فهذا معنى جديد من معاني الدست يكشف عنه القلقشندي، وبهذا تسهم كلمة الدست في ظاهرة الترادف والمشارك اللفظي معاً^(٢).

وكتاب الدّرج مهمتهم الاطلاع على الملاحظات التي يبديها كاتب السرّ أو أحد كتّاب الدّست أو نائب السلطنة، وسمّوا بذلك لتحريّر كتبهم على درّج، والمراد بالدّرج الورق المستطيل المركّب من عدّة أوصال وهو عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة^(٣).

وأما وظيفة كاتب السرّ في الوقت الحاضر، فيماثلها رئيس الديوان الملكي، أو السكرتير الخاص لجلالة الملك، وأما لفظ كاتب السرّ، فيقابلها "لفظة. أمين السر؛ وهو الحافظ الحارس، الذي يتولّى رقابة شيء أو المحافظة عليه، والجمع أمناء^(٤).

وأمين السرّ درجة حزبية كبيرة في العراق، تماثل كاتب السرّ في العصور السابقة.

- المرسوم:

جاء في صبح الأعشى: "مما يكتب في الولايات السلطانية، المراسيم جمع مرسوم أخذاً من قولهم: رسمت له كذا فارتسمه إذا امتثله، أو من قولهم: رسم عليّ كذا إذا كتب، ويحتمل أن يكون منهما جميعاً"^(٥). والمرسوم اسم مفعول اشتقّ من الثلاثي رسم الذي ورد في الشعر الجاهلي، قال عبيد بن الأبرص^(٦):

(١) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦٣.

(٢) علم اللغة التاريخي، ص ٢٤٤.

(٣) صبح الأعشى، ج ١، ص ١٣٨.

(٤) معجم الوسيط، مادة أمن.

(٥) صبح الأعشى، ج ١١، ص ١٠٧.

(٦) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١١٢.

أَمِنْ مَنَزَلٍ عَافٍ وَمِنْ رَسْمٍ أَطْلَلٍ بَكَيْتَ وَهَلْ يَبْكِي مِنَ الشُّوقِ أَمْثَالِي

وقال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان^(١):

تَحْمَلُ أَهْلُهُ بَيْنَهُ فَبَانُوا وَفِي عَرَصَاتِهِ مِنْهُمْ رُسُومٌ

فالرسم والرسوم في الأبيات السابقة وردت بمعنى الأثر.

وجاء في الحديث النبوي الشريف عن جابر بن زيد قال بلغني عن رسول الله ﷺ قال "رَسْمُ المَدَادِ فِي ثَوْبٍ أَحَدِكُمْ إِذَا كَانَ يَكْتُبُ عِلْمًا كَالَّذِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٢)، وورد في الحديث أيضاً بمعنى الأثر.

فالرَّسْمُ: الأثر وقيل بقية الأثر، وما لصق بالأرض منها، ورسم الغيث الدار أبقى أثراً لاصقاً بالأرض، وترسم الرسم نظر إليه. والرَّوْسَمُ كالرسم، شيء تجلّى به الدنانير، والطابع والعلامة. والرواسم: كتب في الجاهلية، وثوب مرسم مخطط والمراسم الماء الجاري، وناقصة رسوم تؤثر في الأرض من شدة الوطء. ورسمتُ له كذا فارتسمه إذا امتثلته^(٣)، ومنه اشتق "للمرسوم؛ لأن فيه تنفيذ لأوامر ورغبات السلطان، ويلاحظ الأصل المادي للمرسوم وهو الأثر في الأرض وانتقاله إلى الدلالة المعنوية ليدل على أوامر السلطان والتي تترك أثراً بارزاً في النفوس، كالأثر الذي يتركه الرسم في الأرض.

ومن صور المرسوم التي أوردها القلقشندي في كتابه "مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامي الأمير فلان الدين أعزّه الله تعالى في النيابة بكذا"^(٤).

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ١١٩.

(٢) مسند الربيع بن حبيب، ج ١، ص ٣٢.

(٣) اللسان، (رسم).

(٤) صبح الأعشى، ج ١١، ص ١١٠.

"ومَرْسُوم كَرِيم أَن يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِي الْأَمِيرُ فَلَانُ الدِّينِ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي شَدِّ الدَّوَابِينِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِي"^(١)، "ومَرْسُوم شَرِيف أَن يَسْتَقَرَّ فَلَانٌ، أَوْ أَن يَرْتَبَ فَلَانٌ فِي كَذَا وَكَذَا"^(٢).

ويفهم ممَّا سبق، أَنَّ المَرْسُومَ هُوَ قَرَارُ سُلْطَانِي يَقْضِي بِتَعْيِينِ شَخْصٍ مَا فِي وَظِيفَةٍ مَعْيَنَةٍ.

والذي يَكْتُبُ المَراسِيمَ السُّلْطَانِيَّةَ مُسْتَوْفِي الصُّحْبَةِ^(٣)، وَيَعْلَمُ عَلَيْهَا السُّلْطَانُ، وَمُسْتَوْفِي الصُّحْبَةِ هُوَ: الْمَلَزِمُ لِلسُّلْطَانِ فِي السَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَفَايَا، وَيُوصِي بِالْإِزَامِ الْكِتَابَ بِمَا يُلْزِمُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَتَحْرِيرِهَا^(٤). وَفِي دِيْوَانِ الصُّحْبَةِ تَنْتَبِهُ التَّوَاقِيْعُ وَالْمَراسِيمُ السُّلْطَانِيَّةُ^(٥).

وَالْمَرْسُومُ يَقَعُ عَلَى ضَرْبَيْنِ "مَراسِيمُ مَكْبَرَةٍ" وَيَكْتُبُ بِهَا لِنَوَابِ الْقَلَاعِ وَأُمَرَاءِ الْعَرَبَانِ^(٦)، وَ "مَراسِيمُ مَصْغَرَةٍ" تَكْتُبُ لِلْعَسْكَرِيِّينَ بِالْوِلَايَاتِ الصَّغِيرَةِ مِثْلَ نَظَرِ الْأَوْقَافِ^(٧).

وَعَرَضَ الْقَلْقَشَنْدِي مَرْسُومًا لِتَحْوِيلِ السَّنَةِ الْقُبْطِيَّةِ إِلَى السَّنَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ "صَلَّاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ"^(٨). وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا النِّظَامَ مَعْمُولٌ بِهِ مِنَ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ.

وَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ هَلَالٍ الصَّابِيُّ (ت ٤٤٨ هـ) كِتَابًا سَمَّاهُ "رِسُومُ دَارِ الْخِلَافَةِ"، ذَكَرَ فِيهِ مَراسِيمَ الْخِلَافَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ. إِنَّ الْقَصْدَ مِنْ هَذَا الْمِصْطَلَحِ "رِسُومٌ"، أَوْ

(١) صَبِيحُ الْأَعْشَى، ج ١١، ص ١١١.

(٢) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ١١، ص ١١٢.

(٣) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ٤، ص ٢٩.

(٤) التَّعْرِيفُ بِالْمِصْطَلَحِ الشَّرِيفِ، ص ١٦٥-١٦٦.

(٥) صَبِيحُ الْأَعْشَى، ج ٤، ص ٢٩.

(٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ١١، ص ١٠٨.

(٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ١١، ص ١١٠.

(٨) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ١٣، ص ٧١.

"مرسوم" هو مجموع العادات المتبعة في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الألفة، وهو ما يعرف بالفرنسية بالإتيكيت Etiquette .

والثاني: مجموعة الاحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بها، ومقابلة الملوك وعظماء الدول، ويعرف بالفرنسية "بروتوكول" "protocole". ويقول إن هذين المعنيين يتضحان من عناوين وفصول الكتاب، فهو يتحدث عن الخلفاء والاحتفال بمواكبهم، وما يقع في مجالسهم، وكيف كانت الأمور تسير بحضورهم، وفي مكالماتهم ومقابلتهم ومسائرتهم^(١).

ومن الرُسُوم: اشتق الأتراك العثمانيون كلمة "مراسم" للدلالة على معنى قريب من معنى "البروتوكول"، ومن كلمة "الرَّسْم" جاءت كلمة "الرَّسْمِي"، و"اجتماع رسمي"، و"حفلة رسمية"، و"صدر مَرَسُوم" (٢).

والمرسوم يقابل لفظ "فرمان"، وهو لفظ فارسي قديم معناه الأصلي "الأمر"، ثم اتسع استعماله فصار مرادفاً "للمرسوم السلطاني" "teterspatent"، أو للتقليد "Diploma" (٣).

وفي العصر الحديث تعددت دلالة هذه اللفظة، إذ اشتق من اللفظ "الرسمي" والعمل الرسمي وهو العمل الذي ينتسب إلى الدولة ورجل رسمي: يمثل الدولة في عمله وقوله، ورقة رسمية، تثبت فيها موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة، ما تمّ على يديه في حدود اختصاصه^(٤).

والمرسوم: ما يصدره رئيس الدولة كتابة في شأن من الشؤون، فتكون له قوة القانون، والمرسوم: قانون ذو صبغة تشريعية يصدره رئيس الدولة وجمعه مراسيم^(٥). ومن المراسيم التي يصدرها رئيس الدولة في الشؤون السياسية التكليف بتشكيل وزارة جديدة أو إقالة وزارة،

(١) رسوم دار الخلافة، أبو الحسين، بن هلال الصابئ (ت ٤٤٨هـ)، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤، مقدمة التحقيق، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٣) علم اللغة التاريخي، ص ٢٤٧.

(٤) معجم الوسيط، مادة رسم.

(٥) المرجع نفسه، مادة رسم.

أو افتتاح البرلمان، ونحو ذلك^(١). ويقابل المرسوم في الأردن الآن الإرادة الملكية السامية، وفي الدول العربية، يقال مرسوم جمهوري، ومرسوم أميري، وهي تحمل الدلالة نفسها التي سادت في عصر القلقشندي. وأمّا مراسيم وهي جمع مرسوم وهي مستخدمة الآن في الأردن، والعراق، وهي نفسها ما ذكره الصابي في رسوم دار الخلافة الذي يقابل الإتيكيت والبروتوكول، إذ تعني طريقة الاستقبال والاحتفال بقدوم ضيف، أو تعيين السفراء ونحو ذلك.

- المُشير:

جاء في صبح الأعشى: المُشير الذي يشير على غيره بالرأي، وهو من ألقاب الوزراء ومن في معناهم، ويقال: مُشير الملوك والسلاطين، ومُشير السلطنة^(٢).

والمُشير اسم فاعل من أشار، على زنة (مُفعل)، وورد اللفظ واشتقاقه في الشعر الجاهلي، قال النابغة الذبياني^(٣):

أقامَ كأنَّ لقمانَ بنَ عــــــادٍ أشارَ له بحكمته مشيــــرُ

وجاءت مشير تأكيداً لقوله "أشار بحكمته"

ومن اشتقاق اللفظ "الشوار" جاء في قول الأعشى^(٤):

لَمَّا رَأَيْتُ إِيَّاسَ فِي مَرْجَمَةٍ رَثَ الشَّوَارِ قَلِيلَ الْمَالِ مُنْشَابَا

والشوار بمعنى الهيئة الحسنه واللباس.

وقال أيضاً^(٥):

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجِيِّ لــــ خالطَ فَاها وَأَرِيًّا مَشُــــورا

(١) اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، ص ٧٥.

(٢) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٧٠.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٥٦.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص ٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٣.

ورد بمعنى شار العسل أي جمعه.

وورد اشتقاق اللفظ في القرآن الكريم بمعنى المشورة وأخذ الرأي، قال تعالى:
(وشاورهم في الأمر) ^(١)، وقال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) ^(٢).

وفي الحديث الشريف "ثم استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسارى أبا بكر، فقال: قومك وعشيرتك، فخلّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم" ^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم "المستشار مؤتمن" ^(٤).

أمّا اللفظ فقد اشتقّ من مادة (شور) والتي تأتي من معانٍ متعدّدة، منها: شار العسل اسخرجه واجتناه، والشارة والشورة الحسنُ والهيئة واللباس، والشورة حسن المخبّر عند التجربة، وفي ذلك تشبيه بالمنظر؛ أي إنّ مخبره مثل منظره، وقصيدة شيرة، حسنة، والمستشير السمين، شارت الإبل، والفرس حسّنت، وسَمِنَت، وشار الدابة عرضها للبيع، والمستشير الفحل الذي يعرف الحائل من غيرها ^(٥).

والمعنى العام الذي تدور حوله الاشتقاقات السابقة معنى واحد متقارب، وهو الحسن والجمال، ويلاحظ الانتقال الدلالي لهذه اللفظة التي كانت تدلّ على جمال الحيوان وشكله، ثم أصبحت تدلّ على الجمال الإنساني المادي، ثم انتقلت إلى الدلالة المعنوية لطلب المشورة من صاحب الخبرة والتجربة، فكأنك بسؤالك المشورة، تجني شيئاً ثميناً كاجتناء العسل من الخلية. ومن الاشتقاقات السابقة جاءت المشورة، وهي مبدأ إسلامي عظيم حتّ عليه النبي ﷺ وطبقه بين أصحابه.

(١) آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) الشورى، الآية ٣٨.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٤) سنن الترمذی، ج ٥، حديث رقم (٢٨٢٢).

(٥) اللسان، مادة (شور).

ولم يكتسب أمراء المشورة في العصر المملوكي حقاً يخولهم حضور مجلس السلطنة، وإنما كان السلطان هو الذي يستدعيهم، فكان الواجب عليهم الحضور^(١)، وفي مجلس السلطنة لا يتكلم السلطان بنفسه، إنما يتكلم بلسانه "المشير"، والهدف من استعانة السلطان بالمشير الاحتفاظ بهيبة الملك؛ لأن السلطان إذا أدلى برأيه في المجلس ثم نقضه الأعضاء، كان في ذلك انتقاص من هيئته وإحراج لمركزه^(٢).

ويفهم من ذلك أن المشير في العصر المملوكي يتحدث بلسان السلطان وبيان رأيه دون إحساس بأن الرأي رأي السلطان.

والمشير كلمة عربية، وتعني في التركية مارشال^(٣). والمارشال رتبة عسكرية عليا.

ووظيفة المشير يقابلها في الوقت الحالي المستشار، وهو العالم أو الحكيم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام علمي أو فني أو سياسي ونحو ذلك^(٤)، فيقال المستشار الخاص لجلالة الملك، والمستشار السياسي، وأما المشير فهي أعلى رتبة في الجيش العربي الأردني، وهي من الألقاب العسكرية في بعض الدول العربية كمصر والسودان وغيرها.

والفارق الدلالي بين "مُشير" و "مُسْتَشَار"، أن كلمة "مُشير" تطلق على مَنْ يقدّم المشورة، ويفهم منها أنه يقدّم المشورة سواء أطلبت منه أم لم تطلب. واستخدمت كلمة مستشار، فهي أكثر منها تخصيصاً في الدلالة في الوقت الحالي، وهو اسم فاعل من استشار أي طلب الاستشارة، وتفهم من لفظ مُستشار بأنه لا يقدم المشورة إلاّ عند الطلب منه. فالمشير غالباً عسكري، والمستشار مدني.

ويلاحظ ممّا سبق الانتقال الدلالي للفظ "مشير" من دلالة سياسية إلى دلالة عسكرية لتدلّ على أعلى رتبة في الجيش.

(١) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥.

(٢) تاريخ الممالك البحرية، ص ٢٠٩، نقلاً عن زبدة كشف الممالك، ص ١٠٦.

(٣) غرائب اللغة العربية، ص ٢٧٦.

(٤) معجم الوسيط، مادة شار.

- المهْمَنْدَار:

جاء في صبح الأعشى: "المهْمَنْدَار هو الذي يتصدى لتلقي الرّسل والعُربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم، وهو مركّب من لفظين فارسيين؛ أحدهما مَهْمَنْ بفتح الميمين، والثاني دار ومعناه "ممسك"، ويكون معناه "ممسك الضيف"، والمراد المتصدّي لأمره"^(١).

والمهْمَنْدَار وظيفة عرفت في الدولة الفاطمية، ويطلق على صاحبها "تائب صاحب الباب"، ووظيفته في العصر الفاطمي مشابهة لوظيفته في عصر المماليك، حيث يقوم المهْمَنْدَار باستقبال السفراء والعربان الوافدين على السلطان وينزل كلّ منهم في المكان اللائق بمركزه في دار الضيافة، ويعين من يقوم على خدمتهم ويرتّب لهم ما يحتاجون إليه، ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم إلّا بأمر السلطان، وهو الذي يتقدّمهم في الدخول إلى الخليفة أو السلطان^(٢).

وقد أتى القلقشندي بوصف لطريقة استقبال السفراء الذين يفدون في مهمّات رسمية من قِبَل الملوك، وعن كيفية نزولهم في دار الضيافة، وكيف كانوا يمثلون بين يدي السلطان لعرض ما معهم من الكتب^(٣).

ويعرض البدراوي زهران لهذا النموذج من التراكيب المضافة إلى دار، ويذكر شرح القلقشندي لها، ويقول: "وأمثلة هذا النموذج تؤكّد الرأي أن شرح القلقشندي ومعاصريه يعيد ترتيب العبارة ويحدد موقعية كلماتها وفق عرف العربية، وإنهم على إدراك واع لهذا، ولكنه التّأثر والتأثير بين اللغات"^(٤).

(١) صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٨، ٥٩.

(٤) علم اللغة التاريخي، ص ٣٠٦.

ويدلّ على ذلك من واقع المصرية المعاصرة عندما يقال "فلان مسك وظيفة، أو مسك موقع"، فيرى أنها انحدار من دلالة كلمة "دار" الفارسية بمعنى ممسك^(١).

ويبدو أنّ مَهْمَن لفظ فارسي ومعناه "ممسك"، والدار لفظة عربية بمعنى المحلة، ويكون المعنى "ضيف الدار" الذي يحل على المملكة أو السلطنة، وخاصة أن (دار) ذات جذور آرامية، فدار في الآرامية "dayro" مسكن من "do" سكن^(٢). فدار في العربية تعني المحل الذي يجمع البناء والساحة والمنزل المسكون والبلد، والقبيلة^(٣).

والاحتمال الآخر، أن تكون "مَهْمَن" أيضاً عربية الأصل وليست فارسية وهي من "المهيمن" وهو اسم من أسماء الله الحسنى بمعنى الرقيب المسيطر. ورد لفظ في الشعر الجاهلي في قول أميّة بن أبي الصلت^(٤):

مَلِكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمِنٌ تَعْنُو لِعِزَّتِهِ الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ

وورد "المهيمين" في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾^(٥). فالمهيمن اشتق من هَمَن، ومن معانيه: اسم من أسماء الله تعالى، الشاهد، ومن آمن من غيره من الخوف، وأصله مؤأمن بهمزتين، قلبت الثانية ياء كراهية اجتماعهما، فصارت مؤيمن، ثم صيرت الأولى هاء كما في هراق وأراق وإيناك وهياك، فصارت مهيمن^(٦).

والذي حصل في انتقال اللفظ من العربية إلى الفارسية، أن حذفت الياء من مهيمن، فأصبحت (مهمن)، والذي حصل في انتقال كلمة من لغة إلى لغة أخرى، أن يجري تغيير

(١) علم اللغة التاريخي، ص ٣٠٦.

(٢) غرائب اللغة العربية، ص ١٨١.

(٣) المعجم الوسيط، مادة دور.

(٤) ديوان أميّة بن أبي الصلت، ص ٣٦١.

(٥) الحشر، الآية ٢٣.

(٦) اللسان، مادة (هَمَن).

على بنية الكلمة، ويتمّ ذلك بإبدال حروف أو زيادة حروف، أو نقصان أو التسكين والتحريك^(١). وربما تكون (مهمن) من هذا الباب.

فالمهمين، اسم فاعل بمعنى الأمين، الحافظ، المسيطر، القائم على الخلق، والرقيب والقائم على الكتب، وجمع بين اللفظين في الفارسية لتعطي دلالة على القائم بأمر الضيوف الوافدين على المملكة أو السلطنة. أمّا الوظيفة التي يقوم بها المهمندار في العصر الحاضر فيقابلها رئيس التشريفات. ويستنتج من ذلك، أنّ دلالة الوظيفة واحدة، ولكن حدث تغيّر في التركيب المستخدم، إذ استعير عن هذا التركيب، بتركيب يحمل الدلالة نفسها.

تبيّن ممّا سلف ذكره في هذا الفصل، أنّ هناك ألفاظاً مركّبة من الأعجمية والعربية، قد اندثرت وحلّ مكانها ألفاظ عربية مثل: الخاصكية، والطبلخاناه، والمهمندار، وبعض التراكيب العربية أصابها اندثار كذلك واستبدلت بأخرى مثل: ديوان الإنشاء، كاتب السرّ، واستقرّت دلالة بعض الألفاظ، كما يبدو ذلك في لفظ المرسوم، واستمرّت بعض الألفاظ مع تغيير في الدلالة كما في الطغرى، والمشير، وزيادة على ذلك فإنّ ثمة لفظاً قد خصّصت دلالاته يتمثّل في لفظ الدستور، وثمة لفظ آخر قد انحطّ دلالاته وهو لفظ الحاجب.

(١) شفاء الغليل، ص ٢٥.

خاتمة:

تبيّن بعد دراسة الألفاظ السياسية في "صبح الأعشى"، أنّ المجتمع في العصر المملوكي كان مزيجاً من العنصرين العربي والأعجمي، وبدا ذلك جلياً في الألفاظ المركّبة من الأعجمية، مثل: المَهْمَنْدَار، والألفاظ التي جمعت بين العربية والأعجمية مثل: الخَاصَنَكِيَّة، والطَلَبَخَانَاه، وأمير آخور، وألفاظ مركّبة من العربية مثل: أمير مجلس، وأمير علم.

وهذه النتيجة تذكّر بظاهرة التأثير والتأثير بين لغات الشعوب على مختلف العصور، في بعض جوانب اللغة، كما يبدو ذلك في ظاهرة قلب الإضافة، فقد وردت تراكيب مخالفة لنهج العربية الصحيح من حيث تقديم المضاف إليه على المضاف، إذ كان يقال: الطبلخاناه، والسلاح خاناه، والسلاح دار، وكان القلقشندي بحسّه اللغوي يعيدها إلى بنائها العربي السليم فيضع المضاف قبل المضاف إليه، يقول "بيت الطبل، وبيت السلاح، ومُمنِك السلاح، وغيرها.

وقد أثر هذا في بعض الألفاظ العربية فيما يتعلّق بالتعريف والتكثير كما في (أمير مجلس)، و (أمير علم)، والأصل أن يُقال: أمير المجلس، وأمير العلم، وهذا ناتج عن التأثير والتأثير بين اللغات.

وتوصلت الدراسة إلى نتيجة ترتبط بباب التأصيل اللغوي لبعض الألفاظ التي كان يظنّ أنها ليست بعربية من مثل: البريدي، والديوان، والأمير، إذ جعلها بعض علماء اللغة القدامى ذات أصول فارسية، فتبيّن في ضوء الدراسة أنها ألفاظ عربية.

وبعد استعراض الألفاظ السياسية وتتبع تطوّرها الدلالي تبيّن أنّ بعض تلك الألفاظ قد استمرت في دلالتها مع محافظتها على المعنى؛ والسبب في ثبات الدلالة هو استمرارية الوظيفة السياسية التي تؤديها هذه الألفاظ، ومن ذلك لفظ: (المُعْظَم) الذي كان لقباً من ألقاب الملوك

والسلاطين، وما زال يحمل الدلالة نفسها في العصر الحديث، ولفظ (المقام) الذي كان مختصاً بالملوك والسلاطين، إذ ما يزال يحمل الدلالة نفسها في هذا العصر، ومنها كذلك لفظ المرسوم الذي ارتبط بتنفيذ رغبات السلطان أو الملك، وما زال يؤدي الغرض نفسه في الدول التي يعدّ نظام الحكم فيها جمهورياً، ومن هذه الألفاظ أيضاً (ولي العهد) الذي ما تزال دلالاته مستمرة كما كانت عليه في عصور سابقة.

ويظهر من خلال دراسة الألفاظ وجود استمرارية دلالية لبعضها مع توسّع في المعنى، كما يبدو هذا في الألفاظ: (الحضرة) والتي كانت من الألقاب الخاصة في مخاطبة الملوك والسلاطين، فحدث توسّع في دلالة المعنى في هذا العصر، إذ أصبحت من الألفاظ التي يخلط بها عامة الناس، ولفظ السيّد، الذي كان من ألفاظ السلاطين، أصبح له دلالة جديدة تمثّل في مخاطبة عامة الناس على غير ما كان عليه سابقاً، ومن الألفاظ التي كانت دلالاتها تحمل معنى الزعامة لفظ (الرئيس)، إذ تعدّدت مجالات استعماله في العصر الحديث ولم يعد اللفظ مقتصرًا على الحكّام.

ومن النتائج التي توصّلت إليها الدراسة في تتبع التطوّر الدلالي للألفاظ السياسية اندثار بعض التراكيب واستبدالها بتراكيب أخرى تحمل الدلالة نفسها نذكر منها لفظ (الطبلخانة) الذي يعني الفرقة الموسيقية للسلطان، إذ استبدل في العصر الحديث بتركيب موسيقات القوات المسلحة على سبيل المثال، ومنها كذلك (الخاصكية) إذ كانت تعني حرس السلطان الخاص، ثم استبدلت في العصر الحديث بلفظ الحرس الملكي أو الجمهوري الخاص، ولفظ (المهمندار) الذي كان يطلق على من يقوم بأمر الضيوف الوافدين على السلطان ويتعهدهم بالرعاية، إذ حلّ مكانه لقب رئيس التشريفات. ويمكن أن يعزى هذا الاندثار إلى تغيّر في البيئة الاجتماعية ونظام الحكم الذي رافقه تغيير واضح في المصطلحات والمفاهيم السياسية المستعملة وفقاً للوظيفة التي يؤديها

رجال الدولة. وفي مقابل ذلك، فإن ثمة ألفاظاً قد اندثرت ولم تستبدل بأخرى لتؤدي وظيفة معينة؛ نظراً لعدم وجود الوظيفة التي كانت تؤديها سابقاً، كما يبدو في لفظي (كاتب الدست، وكاتب الدّرج).

وثمة ألفاظ استمرت في الاستعمال ونقلت دلالتها إلى دلالة أخرى كما يبدو في لفظ (الأفخم) الذي كان من الألقاب الخاصة بمخاطبة الملوك، إذ أصبحت من الألقاب الخاصة برؤساء الدول والحكومات في العصر الحديث، ولفظ (المشير) الذي انتقل من دلالة سياسية إلى دلالة عسكرية في العصر الحديث. وربما يعود السبب في ذلك إلى استحداث ألفاظ أخرى في المجتمع تؤدي الدلالة التي كان يؤديها اللفظ سابقاً، إذ استبدل لفظ (المُستشار) بـ (بالمُشير)، ولفظ المعظم الذي اختص بالملك بدلاً من لفظ (الأفخم).

وثمة ألفاظ قد خصّصت دلالتها في الوقت الحالي كما يبدو ذلك في لفظ (القنصل) الذي كان يطلق قديماً على زعيم النصارى، إذ أصبح الآن يدلّ على وظيفة دبلوماسية يقوم صاحبها برعاية مصالح دولته في دولة أخرى، ومن أمثلة التخصيص الدلالي أيضاً لفظ (البريدي) الذي كان يمثل منصب السفير سابقاً، فقد خصّصت دلالاته في نقل الرسائل في العصر الحديث، كما هو الحال في لفظ الدستور الذي خصّصت دلالاته في جميع الدول ليدلّ على مجموعة القوانين التي يقوم عليها الحكم.

ومن النتائج التي يمكن أن تضاف لما سبق، ملاحظة الرقي الدلالي للفظ (الملك) الذي كان يقدّم عليه لقب (السلطان) في العصر المملوكي، بينما أصبح الآن لقباً أرقى ومركزاً أسمى بين الحكام من ألقاب القيادة الأخرى وبخاصة الرئيس أو السلطان، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى أنها من أكثر الألقاب دلالة على الفخامة والمنزلة السامية للحاكم، وكثرة الدول التي تتبع النظام الملكي بالمقارنة مع النظام السلطاني في الحكم، وعودة بعض الدول إلى هذا النظام كما هو

الحال في دولة البحرين حديثاً، إذ استحدث لقب صاحب العظمة بعد أن أصبح نظامها ملكياً.

وفي مقابل الرقي الدلالي، فإنّ ثمة ألفاظاً قد أصابها انحطاط في الدلالة كما في لفظ (الحاجب) الذي كان من أخصّ المقرّبين للحكام ويعادل منصب رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية، ثمّ أصبح الآن يطلق على البوّاب، ولفظ (الخليفة) الذي كانت دلالاته السياسية سامية قوية منذ عصر صدر الإسلام فأصبح يطلق على الأشخاص الأقل شأنًا في المجتمعات؛ كالحلاق، وعامل البناء في العراق على سبيل المثال، ويعود ذلك إلى تغيرات سياسية واجتماعية تتعرض لها المجتمعات في كل عصر من العصور.

واتّضح أيضاً، أنّ هناك تداخلاً دلالياً بين بعض الألفاظ، وتمثّل ذلك بالتداخل الديني والسياسي والعسكري كما يبدو في عدد من الألفاظ من مثل (الحضرة، والمشير، والسيد، وخدام الحرمين).

وبعد، فإنّ هذه الدراسة المتواضعة لا تخلو من نقصٍ أو زلل وقع فيه الباحث، وما هي إلاّ خطوة أولى في مرحلة البحث العلمي، فإنّ أصبت فمن الله عزّ وجلّ، وإن أخطأت فحسبي من ذلك نصيب المجتهد.

جدول في الألفاظ الواردة في الدراسة وبيان التطور الدلالي الذي صاحبها

استمرار اللفظ مع المحافظة على المعنى	استمرار اللفظ وتوسع في المعنى	استمرار اللفظ مع رقي في الدلالة	استمرار اللفظ مع انحطاط في الدلالة
- خادم الحرمين الشريفين - السلطان - المرسوم - المعظم - المقام - الوزير - ولي العهد	- الحضرة - الرئيس - السيد - الشريف - المقر - النائب	- الأمير - السامي - الملك	- الحاجب - الخليفة - الناظر
استمرار اللفظ وانتقاله إلى دلالة أخرى	اندثار التركيب واستبداله بتركيب يحمل الدلالة نفسها	استمرار اللفظ مع التخصيص الدلالي	اندثار تراكيب
- الأفخم - صاحب - الطغرى - المشير - العالي	- أمير جندار - أمير سلاح - الخاصكية - ديوان الإنشاء - الطبلكانة - كاتب السر - المهمندار	- البريدي - الدستور - القنصل	- كتاب الدست - كتاب الدرج

المصادر والمراجع :

- الإنصاف في مسائل الخلاف، كمال الدين بن الأنباري، تحقيق حسن محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.
- الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٥.
- الأحكام السلطانية والولايات العربية، علي بن محمد الماوردي ت ٤٥٠ هـ، دار الحرية بغداد، ١٩٨٩.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ حققه: علي فاعور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.
- البستان، معجم لغوي مطول، عبدالله البستاني مكتبة لبنان بيروت.
- بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، علي رؤوف سيد مرسى، ط ١، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، ط ٧، ١٩٦٤.
- تاريخ الخلفاء، السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن، ت ٩١١ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (د.ط) (د.ت).
- تاريخ الأمم والملوك الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.
- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، ٥٥٢-٦٥٦ هـ بدري محمد فهد مطبعة الإرشاد بغداد ٧٣ .
- تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، دار القلم، بيروت.
- تاريخ مكة دراسات في العلم والسياسة والاجتماع والعمران، احمد السباعي، ط ٢، دار قريش، مكة، ١٣٨٠ هـ.
- تاريخ المماليك البحرية، على إبراهيم حسن، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧.

- تاريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسيني، دائرة الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٨.
- تحفة الوزراء، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي تـ ٤٢٩هـ، تحقيق حبيب علي الراوي، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧.
- التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، حسين خريوش، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٩١.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، بحوث ودراسات، عبد القادر مرعي الخليل، ط١، ٢٠٠٢.
- التعريف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري، حققه سمير الدروبي ط١، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٢.
- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.
- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د. ط) (د. ت).
- تكملة المعاجم العربية، دينهارت دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية، ١٩٧٨.
- التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفرقان، ١٩٨٦.
- الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب الأزدي البصري، ضبطه وخرّج أحاديثه محمد أدریس، راجعه وقَدَّم له، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط١، ١٩٩٥.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٨٥.
- حاشية الصبّان، محمد بن علي الصبّان، شرح علي بن محمد الأشموني، تحقيق مصطفى حسين أحمد، دار الفكر.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متر، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧.

- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتاوي وآخرين، دار الفكر، القاهرة، مصر، (د.ط) (د.ت).
- الدخيل في الفارسي والعربية والتركية، معجم ودراسة إبراهيم السامرائي، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧.
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ١٩٨٣.
- دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، يحيى العبابنة، ط ١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٠.
- الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق أحمد الخراط، ط ١، دار القلم، بيروت، دمشق، ١٩٨٦.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط ٧، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، منشورات جامعة سبها ١٩٨٨.
- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، عبد العزيز الشناوي، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦.
- ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري فرحات، ط ١، دار الجليل بيروت، ١٩٩٥.
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان أبي نواس، الحسن بن هاني، تـ ١٩٠ هـ حقه بدر الدين حاضري، و محمد حمامي، ط ١، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز ؟
- ديوان امرئ القيس، تحقيق أنور أبو سويلم، وعلي الهروط، ط ١، دار عمار، عمان، ١٩٩١.
- ديوان أمية بن أبي الصلت (ت ٩٥ هـ)، جمع وتحقيق : عبد الحفيظ السلطي، ط ٢، دمشق، ١٩٧٧.
- ديوان أوس بن حجر، حقه محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
- ديوان الحطيئة، جروول ابن اوس، تحقيق نعمان طه، ط ١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥٨.
- ديوان الخنساء، حقه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥.
- ديوان الراعي النميري، جمعه وحقه، داينهت فابيرن، إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية دار النشر: فرانكس شتازن، بفسبادن، بيروت، ١٩٨٠.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له، على حسن فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ديوان الصعاليك، شرح يوسف فرحات، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.
- ديوان صفى الدين الحلبي، دار صادر، بيروت.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق، درية الخطيب، لطفى الصقال، ١٩٧٥.
- ديوان الطغرائي، أبو اسماعيل الحسين بن علي (ت ٥١٥هـ)، تحقيق علي جواد طاهر، يحيى الجبوري، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦.
- ديوان طفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨.
- ديوان عامر ابن الطفيل، رواية أبي بكر الأنباري، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار كنان، دمشق ١٩٩٤.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح، حسين نصار مكتبة ومطبعة، الحلبي مصر، ١٩٥٧.
- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٥.
- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.
- ديوان المهمل بن ربيعة، شرح وتحقيق، انطون محسن القوّال، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٦.
- ديوان النابغة الذبياني، جمعه وشرحه وعلّق عليه محمد بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦.
- ديوان النابغة الشيباني، حققه عبد الكريم إبراهيم يعقوب، ط١، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٨٧.
- ديوان الهذليين، الدار القومية للنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
- رسالة رصف الفريد في وصف البريد، أحمد بن أبي الفتح الشيباني، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، دار البشير، مؤسسة الرسالة، عمّان، ط١، ٢٠٠٢.
- رسوم دار الخلافة، أبو الحسين بن هلال الصابئ (ت ٤٤٨ هـ) حققه ميخائيل عواد، مطبعة العاني، ١٩٦٤.

- سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار القلم.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، مراجعه وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر.
- سنن الترمذي، الجامع الصحيح عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- سنن النسائي، الحافظ أبي عبد الله أحمد بن دينار، ت ٣٠٣ هـ، دار الجيل، بيروت.
- شذا العرف في فن الصرف، للحملوي، الشيخ أحمد (ت ١٣٥١ هـ)، مطبعة مصطفى البابي، ط ١٩٧٢، مصر.
- شرح ديوان جرير، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٦.
- شرح ديوان حسان بن ثابت (ت ٥٠ هـ)، حققه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- شرح ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق رحاب عكاوي، ط ١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦.
- شرح ديوان عنتر بن شداد، ت ٦٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.
- شرح ديوان الفرزدق، تحقيق إيليا حاوي، ط ٢ الشركة العالمية للكتاب.
- شرح ديوان قيس بن الملوح، تحقيق رحاب عكاوي، ط ١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وشرح إحسان عباس، ط ٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤.
- شرح اللمع في النحو، الواسطي القاسم بن محمد بن مباشر (من علماء القرن الخامس الهجري)، حققه رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، ط ١، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠.
- شعر السمائل، حققه وشرح، عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت.
- شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع و تقديم داود سلوم، ج ٣، القسم الثاني، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩.

- شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي ت (١٠٦٩) تصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة أكرم الحسيني التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٢.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ط٤ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.
- صحيح ابن حبان، الإحسان في تقريب بن حبان البستي ت ٣٥٤هـ حققه وشرح أحاديثه شعيب الارناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨ .
- صحيح البخاري، أبي عبد محمد بن اسماعيل، دار الفكر، ١٩٨١.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، الحافظ السيوطي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٦٩.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسبوري، ت ١٦١هـ ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ .
- صناعة الكتاب، أبو جعفر أحمد بن النحاس، تحقيق أحمد بدر ضيف، ط١، دار العلوم العربية بيروت، ١٩٩٠ .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت.
- العرب والعثمانيون، عبد الكريم رافق، ط١، دمشق، ١٩٧٤.
- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ط١، أزمنة للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٨.
- غرائب اللغة العربية، رفائيل نحلة اليسوعي، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ت ٤٢٩هـ، تحقيق فائز محمد، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، القاهرة.

- فهارس لسان العرب، احمد أبو الهيجاء خليل عمايرة، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٧.
- في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة في عمان.
- في علم اللغة التاريخي، دراسة تطبيقية على عربية القرون الوسطى، البدر اوي زهران، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٩٢.
- الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن الشيباني المعروف بابن الاثير، تـ ٦٢٠ هـ، دار صادر بيروت، ١٩٨٢.
- كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، السيد ادبي شير، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.
- كتاب التعريفات، للرجاني، علي بن محمد الشريف، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١.
- كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السبعة، كمال الدين أبي الفضل بن القوطي البغدادي، (ت ٧٢٣) وقف على تصحيحه والتعليق عليه، مصطفى جواد، المكتبة العربية، بغداد ١٣٥١ هـ.
- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ١٤٠٠ هـ.
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي القريري، تحقيق، سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة الثانية، إيران، ١٤٠٩ هـ.
- كتاب الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق أحمد الحمصي، جروس، برس، ط١، لبنان، ١٩٩٤.
- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض. ١٩٨٢.
- كتاب الكليات، أبو البقاء الحسيني ت(١٠٩٤) حققه عدنان درويش، محمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢.

- كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبد الرحمن بن شيت القرشي (٦٢٥) تحقيق، محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- الكواكب الدرية في السيرة النورية، تاريخ السلطان نور الدين زنكي، بدر الدين بن قاضي شهبه، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧١.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، ط٣ دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤.
- اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، محمود السعران، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٣.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٦.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله، ط٤، دار النفائس، بيروت.
- المخصص، ابن سيدة أبو الحسن علي ابن إسماعيل النحوي ت ٤٥٨، تحقيق لجنة إحياء دار التراث العربي، بيروت، لبنان.
- محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣.
- المذكر والمؤنث، أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، تحقيق حاتم الضامن، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ١٩٩٧.
- مذكرات الملك عبد الله، نشر أمين أبو الشعر، ١٩٦٥.
- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد النيسبوري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٩٣.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي خليل، ط١، جامعة مؤتة، ١٩٩٣.

- مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، ط ١، سميح دعيم، مكتبة لبنان، ٢٠٠.
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد أحمد دهمان، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠.
- معجم الدولة العثمانية، حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- المعجم العبري الحديث، ربحي كمال، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥.
- معجم المصطلحات السياسية، محيي الدين هلال وآخرون، ط ١، تحرير وتقديم نفيين مسعد، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٩٤.
- معجم متن اللغة، أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨.
- معجم العالم الإسلامي، كلوس كريز وآخرون، ترجمة كنورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- معجم المصطلحات السياسية، علي هلال وآخرون، ط ١، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٤.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط ١، دار إحياء الكتب، ١٣٦٦ هـ.
- المعجم الفارسي الكبير، إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط ٢.
- المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق محمد أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.
- مفهوم الملك في المغرب، محمد ولد دادة، ط ١، دار الكتب اللبنانية، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩٧.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، نسخة محققة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.
- المتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخري الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٦.
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥.

- المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان ابن جني لكتاب التصريف للمازني، ط١، تحقيق ابراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٤.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- الموسوعة الإسلامية الميسرة، المشرف العام محمود عكام، دار صحارى، دمشق .
- موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، حسن حنفي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٨٦.
- موسوعة السياسة، عبد الوهاب كيالي، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.
- موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والمعارف، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.
- من كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، اختار النصوص وعلق عليها شوقي أبو خليل، ط٢، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر دمشق، ١٩٩٧.
- المؤسسة العربية العالمية، مؤسسة الأعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط١، السعودية، ١٩٩٦.
- المولد في العربية، حلمي خليل، ط٢، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٨٥.
- النابغة الجعدي حياته وشعره، خليل أبو ذياب، ط١، دار القلم دمشق، المنارة، بيروت، ١٩٨٧ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر السقلائي، تحقيق محمد زينهم، ومحمد عزت، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١.

- نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، حسين عطوان، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.
- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، صبحي الصالح، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرمي، ط١، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠.
- الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية (١٩٢٣-١٩٩٣)، جمع أحمد القضاء، تحقيق عيسى أبو سويلم، منشورات دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٩٣.
- الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، محمد ماهر حمادة، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.
- الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين الملك الأول، إعداد وتحرير، محمد عدنان البخيت، ورندة نصري، منشورات جامعة آل البيت، الشركة العربية الأردنية للصحافة والنشر، ١٩٩٣.

الرسائل الجامعية:

- أبو العباس القلقشندي أديباً، أحمد عبد الرحمن الذنيبات، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠١.
- الألفاظ الحضارية وخصائصها اللغوية عند الكميت بن زيد الأسدي، سعيد حوزة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٠.